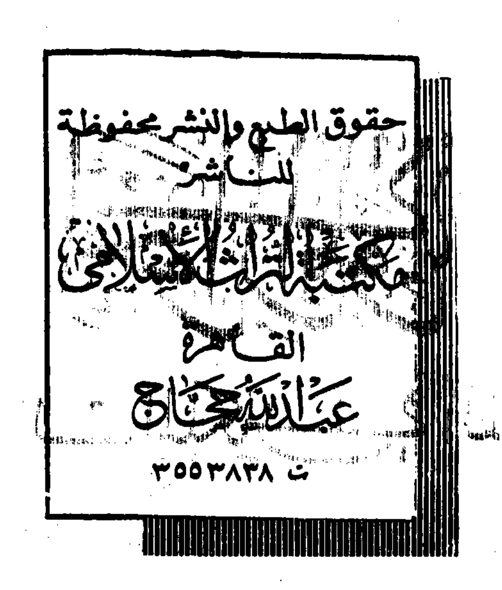
دكتور السيد الجميلي




مكتبة التراث الإسلامي
١٤ صفية زغلول القاهرة ت ٣٥٥٣٨٣٨





## كل نفس ذائقة المـــوت

الحمد لله الذى قصم بالموت رقاب الجبابرة والآكاسرة ، والقياصرة ، وانظر حولك هل ترى فى هذا الوجود إلا هالك ، أو ابن هالك ؟ !

وجدير بالحياة التى نهايتها الموت أن يتفكر العاقل ، فيما بعد الموت ، ويستعد له ، حتى لا يقول « يا حسرتا على ما فرطت فى جنب الله » .

إن الموت مصرع لابد منه ، والتراب مضجع ختمى ، والقبر مقر الناس أجمعين ، والموعد جنة أبدا ، أو نار أبدا ، والكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، كما جاء فى الأحاديث النبوية، ولا يتيسر الإعداد للشىء إلا عند تذكره ، والإصغاء إلى من يذكر ، والخلق غافلون ، كأنهم لا يدرون إلى مالا ينتهون .

### ذكر الموت والترغيب فى ذكره :

إن المنهمك فى ذكر الدنيا ، المحب لشهواتها يغفل قلبه عن ذكر الموت ، فإذا ذكره كرهه ونفر منه ، أولئك الذين قال الله فيهم « قل إن الموت الذى تفرون منه فإنه ملاقيكم ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون(١) » .

---

(١) سورة : الجمعة آية : ٨

والناس فى موضوع الموت أنواع

**الأول منهمك فى طلب الدنيا :** فلا يذكر الموت، وإن ذكره تأسف على دنياه ، ويشتغل بخدمتها وهذا يزيده ذكر الموت من الله بعدا .

**الثانى تائب إلى الله :** إنه يكثر من ذكر الموت لينبعث من قلبه الخوف والخشية فيفى بتمام التوبة ، وربما يكره الموت خيفة أن يختطفه قبل تمام التوبة وقبل الاستعداد بالزاد ليوم الميعاد ، وهذا معذور فى ذكر الموت كرها ، ولا يدخل هذا تحت قول الرسول صلى الله عليه وسلم من كره لقاء الله كره الله لقاءه ( متفق عليه ) فإن هذا ليس يكره الموت ، ولقاء الله ، إنما يخاف لقاء الله لقصوره وتقصيره ، وهو كالذى يشتغل بالاستعداد للقاء حبيب ، يخاف أن لا يمهله الوقت فى الاستعداد ، فإنه يستعد للقاء بما يرضى الحبيب ، فلا يعد كارها للقائه ، إذا تحسر عند ذكره .

**الثالث والعارف :** فإنه يذكر الموت دائما لأنه موعد لقاء حبيبه والحبيب لا ينسى مطلقا موعد لقاء الحبيب ، وفى غالب الأمر ، فإنه يستبطىء مجىء الموت ، ويحب مجيئه ، وهو على خير ما يؤمل من جهاد فى هذه الدنيا ليعلى كلمة الله ، أى أن هذا التمنى للموت ، لا يصحبه جبن وجلق وقعود ، واستسلام ، وصغار وذلة إنما يصحبه تضحية بالنفس والمال والصحة ، واتزار بالعزة ، التى أرادها الله سبحانه وتعالى لعباده المؤمنين ( العزة لله ولرسوله وللمؤمنين ) فيقتحم الأهوال لأجل مرضاة الله طالبا ذلك ، وطالبا لقاءه ، يقول كما قال خالد بن الوليد وهو على فراش الموت ، وقد ندم لأنه يموت بعيدا عن المعارك ( لقد خضت كذا وكذا وما من موضع فى جسدى إلا فيه ضربة سيف أو طعنة رمح ، والآن أموت على الفراش كما يموت البعير . . فلا نامت أعين الجبناء ) .

وكان من دعاء حذيفة بن اليمان — الصحابى الجليل — كما روى

لما حضرته الوفاة قال حبيب جاء على فاقة ، لا أفلح من ندم ، اللهم إن كنت تعلم أن الفقر أحب إلى من الغنى ، والسقم أحب إلى من الصحة ، والموت أحب إلى من العيش فسهل على الموت حتى ألقاك .

ولذلك قال الرسول صلى الله عليه وسلم ( أكثروا من ذكر هازم اللذات ) . رواه البيهقى عن ابن عمر بإسناد ضعيف ، والمعنى أن فى ذكر الموت انقطاعا فى الإنهماك فى سلذات الدنيا ، فيقبل الإنسان على الله ، صابرا على لأواء هذه الحياة الدنيا .

وقالت عائشة رضى الله عنها : يا رسول الله هل يحشر مع الشهداء أحد ، قال نعم من يذكر الموت فى اليوم والليلة عشرين مرة ، والقصد - والله أعلم - الإستعداد للرحيل وسيادة الدنيا ، والعزة للإسلام ، فلا يبالى أن يسقط على المرء الموت ، أو يسقط هو على الموت ، أما التذكر الذى يصحبه خمول ، وجبن ، وذلة ، واستسلام رخيص كما يفعل بعض الجهلة ، فهو يأس ، وقنوط ، يأباه الإسلام ، ولا يقصده الرسول صلى الله عليه وسلم ، الذى ما فتىء يحمل سيفه فى سبيل الله أكثر من ثمانين غزوة حتى واتاه الموت ، فرحا بلقاء ربه ، طالبا منه الرفيق الأعلى .

ومن الأحاديث فى ذلك ، قوله صلى الله عليه وسلم تحفة المؤمن الموت (ابن أبى الدنيا والطبرانى والحاكم) حديث ضعيف (٢٤٠٢) لأن الدنياسجن المؤمن ، إذ لا يزال فيها فى عناد من معاناة نفسه ورياضة شهواته، ومدافعة شيطانه، فالموت إطلاق له من هذا العذاب والإطلاق تحفة فى حقه، وقوله صلى الله عليه وسلم ( الموت كفارة لكل مسلم ) حديث موضوع (٥٩٦٢) لكنه ورد فى التذكرة للقرطبى الحديث رواه أبونعيم فى الحلية والبيهقى فى الشعب ، والخطيب فى التاريخ ، وضعفه ابن الجوزى وأراد الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك ، المسلم الصادق الإيمان ، الذى يسلم المسلمون من لسانه ويده ، ويتحقق فيه أخلاق المؤمنين ، ولم يتدنس بالمعاصى

إلا باللمم والصغائر فالموت يطهره منها ويكفرها بعد اجتنابه الكبائر ، وإقامته الفرائض ، قال ابن عمر ، أتيت النبي صلى الله عليه وسلم ثاني عشرة فقال رجل من الأنصار من أكيس الناس وأكرم الناس يا رسول الله ، فقال أكثرهم ذكرا للموت وأشدهم استعدادا له ، أولئك هم الأكياس ذهبوا بشرف الدنيا وكرامة الآخرة .

ومن الحكم المأثورة، احذر الموت في هذه الحياة الدنيا ، قبل أن تصير إلى دار تتمنى فيها الموت فلا تجده : أعاذنا الله من هذه الدار ، وهكذا ، من عرف الموت هانت عليه مصيبات الدنيا ، وهمومها ، واشتكت بعض النساء قسوة قلبها إلى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها فقالت أكثري من ذكر الموت ..

وسئلت امرأة حكيمة ، أتحبين الموت ، قالت لا ، قيل لم : قالت ، لو عصيت آدميا ما اشتهيت لقاءه ، فكيف أحب لقاءه وقد عصيته ..؟!

ويقول أبو الدرداء : إذا ذكر الموتى فعد نفسك منهم ، وإذا كان من السنة زيارة المقابر فلم تشرع الزيارة إلا لهذه الذكرى ، ذكرى هؤلاء الذين توسدوا التراب وخلفوا الأحباب ، وقطعوا الأسباب ، رغما عنهم ، فلازمة هذه الأفكار ، وأمثالها ومشاهدة المرضى ، هو الذي يجدد في النفس ذكرى الموت ، حتى يغلب أن يكون أمام الأعين .

وفي الحديث الشريف عن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أصبحت فلا تنتظر المساء ، وإذا أمسيت فلا تنتظر الصباح وخذ من حياتك لموتك ومن صحتك لسقمك فإنك ياعبد الله لاتدري ما اسمك غدا ( البخاري ) . .

**خصلتان مذمومتان :**

اتباع الهوى ، وطول الأمل ، فأما اتباع الهوى فيصد عن الحق ، وأما طول الأمل فإنه الحب للدنيا ، إن الله يعطي الدنيا لمن يحب ولمن

لا يحب ، ولا يعطى الدين إلا لمن يحب ومن أقواله عليه الصلاة والسلام ( مثل ابن آدم وإلى جنبه تسع وتسعون منية وإن أخطأته المنايا وقع فى الهرم ) الترمذى .

قال عبد الله خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا مربعا وخط وسطه خطا ، وخط خطوطا إلى جنب الخط وخط خطا خارجا وقال أتدرون ما هذا ، قلنا الله ورسوله أعلم قال هذا الإنسان للخط فى الوسط ، وهذا الأجل محيط به ، وهذه الأعراض للخطوط التى حوله تنهشه إن أخطأه هذا نهشه هذا ، وذاك الأمل ( يعنى الخط الخارج ) مسلم .

والأمل كما يكون مكروها يكون مطلوبا لعمارة هذه الحياة ، بما يرضى الله سبحانه وتعالى إنما الأمل المقصود منه زينة الحياة الدنيا ، والتمتع بها ، والأخذ منها بحظ عظيم للنفس فهذا هو غير المطلوب .

رأى الناس بعض الحكماء ، يقلب فى الأرض بمسحاة ، تركها فجأة واضطجع ، فقام يعمل ثانية ، فسئل عن الحالتين ، قال ، قد كنت أعمل فإذا بنفسى تحدثنى ، إلى متى تعمل وأنت شيخ كبير ، فألقيت المسحاة واضطجعت ، ثم قالت لى نفسى ، لابد لك من العيش الكريم فاعمل ، فقمت إلى مسحاتى لأعمل كما كنت .

ومن دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم اللهم إنى أعوذ بك من دنيا تمنع خير الآخرة ، وأعوذ بك من حياة تمنع خير الممات وأعوذ بك من أمل يمنع خير العمل ..

**ماذا يقول الفلاسفة والحكماء :**

ما أبلغ قول المعرى ·

ودفين على بقـــايا دفين  فى طويل الأزمان والآباد
خلق الناس للبقاء فضلت  أمة يحسبونهم للنفـــاد

إنما ينقلون من دار أعمال إلى دار شقوة أو رشاد
فاللبيب اللبيب من ليس يغتر بكون مصيره للفساد

قال فيلسوف حكيم : لو علمت متى أجلى لخشيت ذهاب عقلى ، ولكن الله تعالى من على عباده بالغفلة والسهو ، ولولا ذلك ما هنىء الناس بهذه الحياة .

ويروى عن الحسن : السهو والأمل نعمتان عظيمتان على بنى آدم ، لولاهما ما مشى المسلمون فى الطرق ، وقال الثورى : إن الإنسان خلق أحمق ، ولولا ذلك لم يهنأ بالعيش ، وقال حكيم : إنما عمرت الدنيا بقلة عقول أهلها ، ومن حكم سلمان الفارسى رضى الله عنه ، ثلاث أعجبتنى حتى أضحكتنى ، مؤمل الدنيا والموت يطلبه وغافل ليس يغفل عنه ، وضاحك ملء فيه لا يدرى أساخط رب العالمين عليه أم راض ، وثلاث أحزنتنى حتى أبكتنى فراق الأحبة محمد وحزبه ، وهول المطلع والوقوف بين يدى الله ، ولا أدرى إلى الجنة يؤمر بى أو إلى النار .

وكتب حكيم إلى أخ له : أما بعد : فإن الدنيا حلم والآخرة يقظة ، والمتوسط بينهما الموت ونحن فى أضغاث أحلام .

ومن خطب أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه : أيها الناس إنكم لم تخلقوا عبثا ، ولن تتركوا سدى ، وإن لكم ميعادا يجمعكم الله فيه للحكم والفصل فيما بينكم فخاب وشقى غدا عبد أخرجه الله من رحمته التى وسعت كل شىء وجنته التى عرضها السموات والأرض ، وإنما يكون الأمان غدا لمن خاف واتقى وباع قليلا بكثير ، وشقاوة بسعادة ، ألا ترون أنكم فى أسلاب الهالكين ، وسيخلف بعدكم الباقون ، ألا ترون أنكم فى كل يوم تشيعون غاديا ورائحا إلى الله عز وجل قد قضى نحبه وانقطع أمله فتضعونه فى صدع من الأرض غير موسد ولا ممهد ، قد خلع الأسباب ، وفارق الأحباب ، وواجه الحساب ..

إن حب الدنيا ، والأنس بها ، والغفلة عن معنى قوله صلى الله عليه وسلم : أحبب من أحببت فإنك تفارقه ، وبجهل الإنسان قد يعول على شبابه فيستبعد قرب الموت مع الشباب ، ولا يعلم أن الموت قد يكون فى الشباب أكثر ، وقد يستبعده لصحته ، ويستبعد الموت فجأة ، ولا يدرى أن ذلك غير بعيد .

إن الموت ليس له وقت مخصوص من شباب وشيب وكهولة ، فليشتغل بالاستعداد له ، ولكن الجهل بهذه الأمور وحب الدنيا دعواه إلى طول الأمل ، وإلى الغفلة عن تقدير الموت القريب .

يقول الله تعالى فى كتابه العزيز فى سورة آل عمران ، يحذر المؤمنين من بعض ما جاء فى قول بعض المنافقين لإخوانهم ، والآية تقول : ( يأيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لإخوانهم إذا ضربوا فى الأرض أو كانوا غزى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك حسرة فى قلوبهم والله يحي ويميت والله بما تعملون بصير ، ولئن قتلتم فى سبيل الله أو متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون، ولئن متم أو قتلتم لإلى الله تحشرون » ( ٣/١٥٦ – ١٥٨ ) .

وآية أخرى فى سورة النساء ٧٨ ( أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة ) ( ٤/٧٨ ) .

**لابد من المبادرة والعمل ، والحذر من التأخير والتسويف :**

قال عليه الصلاة والسلام : ما ينتظر أحدكم من الدنيا إلا غنى مطغيا أو فقرا منسيا أو مرضا مفسدا أو هرما مقيدا أو موتا مجهزا ، أو الدجال فالدجال شر غائب ينتظر أو الساعة ، والساعة أدهى وأمر ( الترمذى ) .

وعن ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم لرجل وهو يعظه اغتنم خمسا قبل خمس ، شبابك قبل هرمك ، وصحتك قبل سقمك ، وغناك قبل

فقرك ، وفراغك قبل شغلك ، وحياتك بعد موتك ، وقال نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ — البخارى ..

أى أنه لا يغتنمهما ثم يعرف قدرهما عند زوالهما ، وقوله من خاف أدلج ، ومن أدلج بلغ المنزل ألا إن سلعة الله غالية ألا إن سلعة الله الجنة ( الترمذى ) وقال : جاءت الراجفة تتبعها الرادفة وجاء الموت بما فيه ( حديث مرسل ) ، وقال ابن عمر خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والشمس على أطراف السعف فقال ما بقى من الدنيا إلا كما بقى من يومنا هذا فى مثل ما مضى منه ( الترمذى ) قال جابر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خطب فذكر الساعة رفع صوته واحمرت وجنتاه كأنه منذر جيش يقول صبحتكم ومسيتكم بعثت أنا والساعة كهاتين وقرن بين بين أصبعيه ( مسلم ) .

وقال ابن مسعود رضى الله عنه تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم : فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ، فقال إن النور إذا دخل الصدر انفسح فقيل يا رسول الله هل لذلك من علامة تعرف قال نعم التجافى عن دار الغرور والإنابة إلى دار الخلود ، والاستعداد للموت قبل نزوله .

المؤمن سراع إلى الخير ، قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه التؤدة فى كل شىء خير إلا فى أعمال الخير للآخرة .

أنظر إلى قوله تعالى ( إنما نعد لهم عداً ) لعلها الأنفاس ، وماذا فعل صاحبها فيها ..

دقات قلب المرء قائلة له     إن الحياة دقائق وثــوان

فالتقى ، من نصح نفسه ، ولم يبرر المعصية بأن الله غفور رحيم ، فإن رحمة الله قريب من المحسنين ، أى الذين يعبدون الله فى مقام الإحسان ، وهو المقام الذى تعبد الله فيه كأنه يراك ، وإن لم تكن أنت تراه ..

يقول صاحب كليلة ودمنة ، قصة طريفة ، نرى أن ننتفع بها فى هذا الباب ، والحديث كما يقال « ذو شجون » والحكمة ضالة المؤمن . يأخذها أنى وجدها ، حتى ولو أتت على لسان جاهل . . .

قال « برزويه » وكان عندى أنه ليس شىء من شهوات الدنيا ولذاتها إلا وهو متحول إلى الأذى ، ومولد للحزن ، فالدنيا كالماء الملح الذى لا يزداد شاربه إلا عطشا ، وهى كالعظم الذى يصيبه الكلب ، فيجد فيه ريح اللحم فلا يزال يطلب ذلك اللحم حتى يدمى فاه ، وكالحدأة التى تظفر بقطعة من اللحم فيتجمع عليها الطير ، فلا تزال تدور وتدأب حتى تعيى وتعطب ، فإذا تعبت ألقت ما معها ، وكالسكور من العسل الذى فى أسفله السم الذى يذاق منه حلاوة عاجلة ، وآخره موت زعاف ، وكأحلام النائم التى يفرح بها الإنسان فى نومه فإذا استيقظ ذهب الفرح ، فلما فكرت فى هذه الأمور ، رجعت إلى طلب النسك ، وهزنى الاشتياق إليه ، ثم خاصمت نفسى إذ هى فى شرورها سارحة وقد لا تثبت على أمر تعزم عليه ، كقاض سمع من خصم واحد . فحكم له ، فلما حضر الخصم الثانى ، عاد إلى الأول وقضى عليه ، ثم نظرت فيما تشره إليه النفس من لذة الدنيا ، فقلت ما أمر هذا وأوجعه ، وهو يدفع إلى عذاب الأبد ، وأهواله وكيف لا يستحلى الرجل مرارة قليلة تعقبها حلاوة طويلة ، وكيف لا تمر عليه حلاوة قليلة تعقبها مرارة دائمة ، وقلت لو أن رجلا عرض عليه أن يعيش مائة سنة لا يأتى عليه يوم واحد إلا بضع منه بضعة ( قطع منه قطعة ) . . . فلنعلم أن الدنيا كلها بلاء وعذاب ، أو ليس الإنسان إنما يتقلب فى عذاب الدنيا من حين أن يكون جنينا إلى أن يستوفى أيام حياته ، فإذا كان طفلا ذاق من العذاب ألوانا ، إن جاع فليس به استطعام أو عطش فليس به استسقاء ، أو وجع فليس به استغاثة ، مع ما يلقى من الوضع والحمل واللف والدهن والمسح ، إن أنيم على ظهره لم يستطع تقلبا ، ثم يلقى أصناف العذاب ما دام رضيعا ، فإذا أفلت من عذاب

الرضاع ، أخذ في عذاب الأدب ، فأذيق منه ألوانا ، من عنف المعلم ، وضجر الدرس ، وسآمة الكتابة ، ثم له من الدواء والحمية ، والأسقام والأوجاع ، فإذا أدرك كانت همته في جمع المال ، وتربية الولد ، ومخاطرة الطلب ، والسعى والكد والتعب وهو مع ذلك يتقلب مع أعدائه الباطنية اللازمة له ، وهى الصفراء ، والسوداء والريح والبلغم والدم ، والسم المميت ، والحية اللاذعة ، مع الخوف من السباع والهوام مع صرف الحر والبرد والمطر والرياح ، ثم أنواع العذاب من الهرم لمن يبلغه ؛ فلو لم يخف من هذه الأمور شيئا ، وكان قد أمن ووثق بالسلامة منها ، فلم يفكر فيها لوجب عليه أن يعتبر بالساعة التى يحضره فيها الموت ، فيفارق الدنيا ، لا يتذكر ما هو نازل به في تلك الساعة من فراق الأحبة ، والأهل والأقارب ، وكل مضنون به من الدنيا والإشراف على الهول العظيم بعد الموت ، فلو لم يفعل ذلك لكان حقيقيا أن يعد عاجزا ، مفرطا محبا للدناءة مستحقا للوم فمن ذا الذى يعلم ولا يحتال لغد جهده في الحيلة ، ورفض ما يشغله ويلهيه من شهوات الدنيا وغرورها ، ولا سيما في هذا الزمان الشبيه بالصافى وهو كدر ...

وكأن الأشرار فى هذا الزمن يقصدون السماء صعودا ، وكأن الأخيار يريدون بطن الأرض ، وأصبحت المروءة مقذوفا بها من أعلى شرف إلى أسفل درك وأصبحت الدناءة مكرمة ممكنة وأصبح السلطان متنقلا عن أهل الفضل إلى أهل النقص ، وكأن الدنيا جذلة مسرورة تقول قد غيبت الخيرات ، وأظهرت السيئات ، فلما فكرت في الدنيا وأمورها ، وأن الإنسان هو أشرف الخلق فيها ، وأفضله ، ثم هو يتقلب في الشرور والهموم ، عرفت أنه كيس ، إنسان ذو عقل يعلم ذلك ثم لا يحتال لنفسه في النجاة فعجبت من ذلك كل العجب ، ثم نظرت فإذا الإنسان لا يمنعه عن الاحتيال لنفسه إلا لذة صغيرة حقيرة ، غير كبيرة من الشم والنظر والسمع واللمس لعله يصيب منها الطفيف أو يقتنى منها اليسير ، فإذا ذلك يشغله ويذهب به إلى عدم الاهتمام لنفسه وطلب النجاة منها ،

فالتمست للإنسان مثلا ، فإذا مثله مثل رجل نجا من خوف فيل هائج إلى بئر فتدلى فيها وتعلق بغصنين ، كانا على سمائها فوقفت رجلاه على شيء فى طى البئر ، فإذا حيات أربع قد أخرجن رءوسهن من أحجارهن ، ثم نظر فإذا فى قاع البئر تنين فاتح فاه منتظر له ليقع فيأخذه ، فرفع بصره إلى الغصنين فإذا فى أصلهما جرذان أسود وأبيض ، وهما يقرضان الغصنين دائبين لا يفتران ، فبينما هو فى النظر لأمره والاهتمام لنفسه إذ أبصر قريباً منه كوارة فيها عسل نحل فذاق العسل فشغلته حلاوته ، وألهته لذته عن الفكرة فى شيء من أمره ، وأن يلتمس الخلاص لنفسه ، ولم يذكر أن رجليه على حيات أربع لايدرى متى يقع عليهن ، ولم يذكر أن الجرذين دائبان فى قطع الغصنين ومتى انقطعا وقع على التنين ، فلم يزل لاهيا غافلا مشغولا بتلك الحلاوة حتى سقط فى فم التنين ، فهلك ، فشبهت البئر بالدنيا المملوءة آفات وشرورا ، ومخافات ، وعاهات ، وشبهت بالحيات الأربع الأخلاط الأربعة . التى فى البدن ، فإنها متى هاجت أو أحدها كانت كحمة الأفاعى والسم المميت وشبهت بالغصنين الأجل الذى لابد من انقطاعه ، وشبهت بالجرذين الأسود والأبيض الليل والنهار اللذين هما دائبان فى إفناء الأجل ، وشبهت بالتنين المصير الذى لابد منه ، وشبهت بالعسل هذه الحلاوة القليلة التى ينال منها الإنسان فيطعم ويسمع ويشم ويلمس ويتشاغل عن نفسه ، ويلهو عن شأنه ، ويصد عن سبيل قصده ، فحينئذ صار أمرى إلى الرضا بحالى وإصلاح ما استطعت إصلاحه من عملى لعلى أصادف باقى أيامى زمانا أصيب فيه دليلا على هداى ، وسلطانا على نفسى ، وقواما لأمرى ، فأقمت على هذه الحال ، وانتسخت كتبا كثيرة . . . الخ .

## النهى عن تمنى الموت :

الاستعداد للموت ، غير تمنى الموت ، وخصوصا إذا نزل بالإنسان ضر فى نفسه أو ماله ، روى مسلم قال عن أنس رضى الله عنه قال رسول

الله صلى الله عليه وسلم ( لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به ، فإن كان لابد متمنيا فليقل اللهم أحيني متى كانت الحياة خيراً لى ، وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لى ) أخرجه البخارى :

وعنه قال ( لا يتمنين أحدكم الموت ولا يدع به من قبل أن يأتيه ، إنه إذا مات أحدكم انقطع عمله ، وأنه لايزيد المؤمن عمره إلا خيرا ) وفى البخارى : لا يتمنين أحدكم الموت إما محسنا فلعله أن يزداد خيرا ، وإما مسيئا فلعله أن يستعتب ، وفى البزار « لاتمنوا الموت فإن هول المطلع شديد ، وإن من السعادة أن يطول عمر العبد حتى يرزقه الله الإنابة » ..

## المـوت مصيبة :

سماه الله بقوله سبحانه ( فأصابتكم مصيبة الموت ) إنه مصيبة عظمى ، ورزية كبرى ، وأعظم منه الغفلة عنه ، والإعراض عن ذكره ، وقلة التفكر فيه ، وترك العمل له ، وإن فيه لعبرة لمن يعتبر ، وفكرة لمن يتفكر .

قال العلماء والحكماء والفلاسفة : الموت ليس لعدم محض ، ولا فناء صرف ، وإنما هو انقطاع تعلق الروح بالبدن ، ومفارقته وحيلولة بينهما ، وتبدل حال ، وانتقال من دار إلى دار .

وفى فلسفة بعض الأبرار ، يقولون الموت جسر يوصل الحبيب إلى الحبيب ، ما من مؤمن إلا والموت خير له ، واستدل قائل هذه الحكمة الأخيرة بقول الله تعالى ( وما عند الله خير للأبرار ) وقول أحدهم ، لا يتمنى الموت إلا أحد ثلاثة : رجل جاهل بما بعد الموت ، أو رجل يفر من أقدار الله تعالى عليه ، أو مشتاق يحب لقاء الله عز وجل .

## هل يجوز تمنى الموت لفساد الزمن ؟ :

قيل : إن يوسف عليه السلام تمنى الموت فى قوله ( توفنى مسلما وألحقنى بالصالحين ) والرأى المقبول : إنه لم يتمن الموت ، بل تمنى أن

يموت على الإسلام ، كقوله تعالى ( فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون ) فإنه تمنى الوافاة على الإسلام ، أى إذا جاء أجلى توفنى مسلما ، وهذا هو القول المختار عند أهل التأويل . والله أعلم .

ومريم عليها السلام تمنت الموت ( يا ليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا ) إنها تمنت الموت لوجهين ، أحدهما : إنها خافت أن يظن بها السوء فى دينها ، الثانى لئلا يقع فيها الناس بالزنا زورا ، وذلك مهلك لهم ، وعلى هذا فتمنى الموت بالنسبة لها قد يكون جائزا - والله أعلم .

وحديث الرسول صلى الله عليه وسلم ( لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول : يا ليتنى مكانه ، فإن ذلك سيكون لشدة ما ينزل بالناس من فساد الحال فى الدين ، وضعفه وخوف ذهابه ، لا لضر ينزل بالمرء فى جسمه أو غير ذلك ، من ذهاب حاله مما يحط عنه خطاياه ، ومما يوضح هذا المعنى كما جاء فى موطأ مالك قول الرسول صلى الله عليه وسلم ( اللهم إنى أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين ، وإذا أردت - ويروى أدرت - فى الناس فتنة فاقبضنى إليك غير مفتون ) .

ومثل هذا قول عمر بن الخطاب رضى الله عنه « اللهم قد ضعفت قوتى ، وكبرت سنى وانتشرت رعيتى فاقبضنى إليك غير مضيع ولا مقصر ( رواه مالك ) .

ومما جاء فى الحكم المأثورة ( بادروا بالموت ستا : أمرة السفهاء ، وكثرة الشرط ، وبيع الحكم ، واستخفافا بالدم ، وقطيعة الرحم ، ونشئا يتخذون القرآن مزامير ، يقدمون الرجل ليغنيهم بالقرآن ، وإن كان أقلهم فقها .

والحديث الذى سبق الإشارة إليه ، الكيس من دان نفسه ، أى حاسبها ،

أو دان نفسه أى ( ذكها واستعبدها ) يقال دنية ، أدينه ، إذل ذللته ، فيذل نفسه فى عبادة الله سبحانه وتعالى ، عملا يعده لما بعد الموت ، وكذلك يحاسب نفسه على ما فرط فى عمره ، ويستعد لعاقبة أمره بصالح عمله والتنصل من سالف زلله ، وذكر الله تعالى وطاعته فى جميع أحواله ، فهذا هو الزاد ليوم المعاد ، والعاجز ضد الكيس ، وهو المقصر فى الأمور ، فهو مع تقصيره فى طاعة ربه ، واتباع شهوات نفسه متمن على الله أن يغفر له ، وهذا هو الاغترار فإن الله تعالى أمره ونهاه قال الحسن البصرى رضى الله عنه ، أن قوما ألهتهم الأمانى ، حتى خرجوا من الدنيا وما لهم حسنة ويقول أحدهم أحسن الظن بربى ، وكذب لو أحسن الظن لأحسن العمل وتلا قوله تعالى « وذلكم الذى ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين » . وفى الحكم الغرة بالله أن يتمادى الرجل بالمعصية ويتمنى على الله المغفرة ، إن من الخطأ أن يصبح الإنسان يؤمل فى الدنيا بطول العمر ، ويتمنى على الله الأمانى بسوء الفعل . . .

## القبور تذكر الإنسان بالآخرة :

روى مسلم عن أبى هريرة ، قال زار النبى صلى الله عليه وسلم قبر أمه فبكى وأبكى من حوله ، فقال استأذنت ربى أن أستغفر لها فلم يؤذن لى ، فاستأذنته فى أن أزور قبرها فأذن لى ، فزوروا القبور فإنها تذكر بالموت ،وعند ابن ماجه عن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ، فإنها تزهد فى الدنيا وتذكر بالآخرة .

وزيارة القبور للرجال ، متفق عليه ، مختلف فيه للنساء ، أما الشوابب فحرام عليهن الخروج ، وأما القواعد فمباح لهن ذلك ، وجائز ذلك لجميعهن إذا انفردن بالخروج عن الرجال ، ولا يختلف فى هذا إن شاء الله تعالى ، وعلى هذا المعنى يكون قوله صلى الله عليه وسلم « زوروا القبور » عاما ،

أما موضع أو وقت يخشى فيه الفتنة من اجتماع الرجال والنساء فلا يجوز ولا يحل ، فبينما الرجل يخرج ليعتبر فيقع بصره على امرأة فيفتتن ، وبالعكس ، فيرجع كل واحد من الرجال والنساء مأزورا وهذا واضح والله أعلم (١) .

ويرى بعض العلماء ، أن النبي صلى الله عليه وسلم لما لعن زوارات القبور كان قبل أن يرخص فى زيارة القبور ، فلما رخص دخل فى رخصته الرجال والنساء ، وما ذكرناه لك أولا هو الأصح والله أعلم .

**وقال العلمـــاء:** ليس للقلوب أنفع من زيارة القبور ، وخاصة إن كانت قاسية فعلى أصحابها أن يعالجوها بثلاثة أمور :

١ - الإقلاع عما هى عليه بحضور مجالس العلم بالوعظ والتذكر ، والتخويف والترهيب وأخبار الصالحين ، فإن ذلك مما يلين القلب .

٢ - ذكر الموت ، فيكثر من ذكر هازم اللذات ، ومفرق الجماعات ، وميتم البنين والبنات ، إن تذكر الموت يردع النفس عن المعاصى ، ويلين القلب القاسى ويذهب الفرح بالدنيا ، ويهون المصائب فيها .

٣ - مشاهدة المحتضرين ، فإن النظر إلى الميت وهو يحتضر ، يطرد عن القلوب مسراتها ، ويمنع الأجفان من النوم ، والأبدان من الراحة ويبعث على العمل ، ويزيد فى الاجتهاد والتعب .

هذه ثلاثة أمور ينبغى لمن قسا قلبه ، ولزمه ذنبه أن يستعين بها على دواء دائه ، ويستصرخ بها على فتن الشيطان وإغوائه ، فإن انتفع بها فذاك ، وإن عظم عليه رين القلب واستحكمت فيه دواعى الذنب ، فليكرر ذلك ، قال عليه الصلاة والسلام ليس الخبر كالمعاينة . رواه ابن عباس ولم يروه أحد غيره ( التذكرة ) .

---

(١) التذكرة للقرطبى (١/ ٢٠) .

وينبغى لمن عزم على الزيارة أن يتأدب بآدابها ، ويحضر قلبه فى إتيانها ولا يكون حظه منها المشاهدة فقط ، بل يقصد زيارته لها وجه الله ، وإصلاح فساد نفسه ، والدعاء للميت ، ويجتنب المشى على المقابر والجلوس عليها ، ويقول كما كان يقول الرسول صلى الله عليه وسلم « السلام عليكم دار قوم مؤمنين » ولم يثبت أن الرسول صلى الله عليه وسلم قرأ قرآنا على المقابر ، وأهداه إليهم كما يفعل بعض الناس اليوم ، ويفتونه للعامة ، ولا أدرى على ماذا تقوم هذه الفتوى ، والعلة وأسبابها موجودة ، فالقبر موجود ، والقرآن موجود ، والرسول صلى الله عليه وسلم موجود فلم يقرأ قرآنا على قبر ، ولم يقرأ فاتحة على ميت ، ونقول لهؤلاء أأنتم أعلم أم رسول الله ؟ .

## موضوع أم الرسول صلى الله عليه وسلم :

هو ما جاء فى كتاب السابق واللاحق ، لأبى بكر أحمد بن على الخطيب « الناسخ والمنسوخ » لأبى حفص بن شاهين ، الحديث بإسنادهما إلى عائشة رضى الله عنها قالت : حج بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع فمر بى على عقبة الحجون ، وهو باك حزين مغتم ، فبكيت لبكائه ، ثم طفر — وثب — فنزل فقال يا حميراء « استمسكى » فاستندت إلى جنب البعير فمكث عنى طويلا ثم عاد إلى وهو فرح مبتسم ، فقلت له ، بأبى أنت وأمى يا رسول الله ، نزلت من عندى وأنت باك حزين مغتم فبكيت لبكائك يا رسول الله ، ثم إنك عدت إلى وأنت فرح مبتسم فمن ماذا يا رسول الله : فقال : مررت بقبر آمنة أمى فسألت الله ربى أن يحيها فأحياها فآمنت بى ، أو قال فآمنت وردها الله عز وجل ، لفظ الخطيب ، وقد ذكر السهيلى فى الروض الأنف بإسناد فيه مجهولون « إن الله أحيا له أباه وأمه وآمنا به » .

وقد قيل إن الحديث فى إيمان أمه موضوع يرده القرآن العظيم والإجماع ، قال تعالى ( ولا الذين يموتون وهم كفار ) فمن يمت وهو كافر لم ينفعه

الإيمان بعد الرجعه ، بل لو آمن عند المعاينة لم ينتفع ، فكيف بعد الإعادة ؟ .

## هل يجوز البكاء فى المقبرة :

ذكر النسائى ، عن النبى صلى الله عليه وسلم ( من أراد أن يزور قبرا فليزره ، ولا تقولوا هجرا ، أما حديث ما من رجل يمر بقبر أخيه المؤمن كان يعرفه فسلم عليه السلام إلا رد عليه السلام ) حديث موقوف على أبى هريرة ، والقرآن الكريم يقول للرسول صلى الله عليه وسلم ) وما أنت بمسمع من فى القبور ) فاطر . وقوله ( إنك لا تسمع الموتى ) .

وروى مسلم عن عائشة رضى الله عنها ، قالت : قلت يا رسول الله كيف أقول إذا دخلت المقابر ، قال : قولى السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ، ويرحم الله المستقدمين منا والمتأخرين ، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون ، (وزاد) أسأل الله لنا ولكم العافية .

وفى الصحيحين أنه عليه السلام مر بامرأة تبكى عند قبر لها فقال لها اتقى الله واصبرى . .( الروح لابن القيم ) .

وكما أبيح البكاء عند الموت ، أبيح البكاء عند القبر ، ولا تقل هجراً ، ولا تنح ، فهما محرمان ، وهو الذى ورد فيه الوعيد من قوله عليه السلام « أنا برىء ممن حلق ، وسلق ، وخرق ( أخرجه مسلم ) .

أما البكاء من غير نياحة فقد ورد فيه الأباحة عند القبر ، وعند الموت ، وهو بكاء الرأفة والرحمة التى لا يكاد يخلوا منها إنسان ، وقد بكى النبى صلى الله عليه وسلم لما مات ابنه إبراهيم .

## معنى قول الرسول صلى الله عليه وسلم المؤمن يموت بعرق الجبين :

رواية ابن ماجه ، والترمذى . .

عن سلمان الفارسى : قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : أرقبوا للميت عند موته ثلاثاً : أن رشح جبينه ، وذرفت عيناه ، وانتشر منخراه ، فهى رحمة من الله قد نزلت به ، وإن غط غطيط البكر المخنوق ، وخمد لونه ، وأزبد شدقاه ، فهو فى عذاب من الله تعالى قد حل به (١)

قال بعض العلماء إنما يعرق وجهه حياء من ربه . . والله أعلم .

وفى حديث ابن مسعود موت المؤمن بعرق الجبين تبقى عليه البقية من الذنوب فيجازى بها عند شدة الموت أى يشدد عليه الموت ولتمحص ذنوبه .

ولأبى نعيم من حديث عن الأعمش قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن نفس المؤمن تخرج رشحاً ، وإن نفس الكافر تسل كما تسل نفس الحمار » .

وإن الكافر ليعمل الحسنة فيسهل عليه عند الموت يجازى بها ،

وربما ، يكفر عن المؤمن سيئاته عند الموت بشدته ، وربما يسهل عليه الموت ، وهذه أشياء مشاهدة ، ونتركها لعلم الله سبحانه وتعالى .

وقد ذكر الله سبحانه وتعالى شدة الموت فى أربعة :

الأولى : قوله تعالى — ( وجاءت سكرة الموت بالحق ) .

الثانية : قوله تعالى ( ولو ترى إذ الظالمون فى غمرات الموت ) .

والثالثة : قوله تعالى ( فلولا إذا بلغت الحلقوم ) .

والرابعة : قوله تعالى ( كلا إذا بلغت التراقى ) .

روى البخارى عن عائشة رضى الله عنها : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت بين يديه ركوة أو علبة فيها ماء ، فجعل يدخل يديه فى الماء فيمسح بهما وجهه ، ويقول « لا إله إلا الله إن للموت سكرات » ثم نصب

---

(١) أخرجه الترمذى الحكيم فى كتابه نوادر الأصول .

يديه وجعل يقول « بل الرفيق الأعلى حتى قبض ومالت يده » ، وسنفرد لموت الرسول صلى الله عليه وسلم فصلا . بمشيئة الله تعالى .

وروى عن عمر بن عبد العزيز أنه كتب إلى ناس من أصحابه يوصيهم فكان فيما أوصاهم به أن كتب إليهم : أما بعد ، فإنى أوصيكم بتقوى الله العظيم والمراقبة له ، واتخذوا التقوى والورع زاداً ، فإنكم فى دار عما قريب تنقلب بأهلها ، والله فى عرصات القيامة وأهوالها يسألكم عن الفتيل والنقير ، فالله . الله . عباد الله . اذكروا الموت الذى لابد منه ، واسمعوا قول الله تعالى ( كل نفس ذائقة الموت ) وقوله ( كل من عليها فان ) ، وقوله ( فكيف إذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم ) ، وقد بلغنى والله أعلم — أنهم يضربون بسياط من نار . . . الخ .

قال العلماء رضى الله عنهم : ما جرى على الأنبياء صلوات الله عليهم من شدائد الموت وسكراته له فائدتان :

أحداهما : أن يعرف الخلق مقدار الموت وألمه وأنه باطن ، وقد يطلع الإنسان على بعض الموتى فلا يرى عليه حركة ولا قلقاً ، ويرى سهولة خروج روحه ، فيغلب على ظنه سهولة أمر الموت ، ولا يعرف ما الميت فيه ، فلما ذكر الأنبياء ، الصادقون فى خبرهم شدة ألم مع كرامتهم على الله تعالى ، وتهوينه على بعضهم ، قطع الخلق بشدة الموت الذى يعانيه ويقاسيه الميت مطلقاً ، ما خلا الشهيد قتيل الكفار على ما يأتى ذكره ،

الثانية : ربما خطر لبعض الناس أن هؤلاء أحباب الله ، وأنبياؤه ورسله ، فكيف يقاسون هذه الشدائد العظيمة ؟ وهو سبحانه وتعالى قادر أن يخفف عنهم أجمعين ، فالجواب إن أشد الناس بلاء فى الدنيا الأنبياء ، ثم الأمثل فالأمثل ، كما قال عليه الصلاة والسلام «فى البخارى» يريد الله سبحانه وتعالى أن يبتليهم تكميلا لفضائلهم لديه ورفعة لدرجاتهم عنده ، وليس ذلك فى حقهم نقصاً ، ولا عذابا ، بل هو كمال رفعة ، مع رضاهم

بجميل ما يجرى الله عليهم ، فأراد الحق سبحانه وتعالى أن يختم لهم بهذه الشدائد ، مع إمكان التخفيف عنهم ، والتهوين ، ليرفع منازلهم ، ويعظم أجورهم قبل موتهم .

كما ابتلى إبراهيم بالنار ، وموسى بالخوف والأسفار ، وعيسى بالصحارى والقفار ، ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم بالفقر فى الدنيا ، ومقاتلة الكفار . وكل ذلك لرفعة فى أحوالهم ، وكمال فى درجاتهم ، ولا يفهم من هذا أن الله شدد عليهم مما شدد على العصاة فإن ذلك عقوبة لهم ، ومؤاخذة على إجرامهم فلا نسبة بينه وبين هذا . .

* * *

إن الموت هو الخطب الأفظع ، والأمر الأشنع ، والكأس الذى يشربها كل إنسان وحيوان وملائكة .

يحكى أن الرشيد لما اشتد به المرض أحضر طبيباً طوسياً فارسياً ، وأمر أن يعرض عليه ماؤه — بوله — مع مياه كثيرة لمرضى وأصحاء فجعل يستعرض القوارير ، حتى رأى قارورة هارون الرشيد ، فقال : قولوا لصاحب هذه القارورة أن يوصى ، فإنه قد انحلت قواه ، وتداعت بنيته ، فيئس الرشيد من نفسه وأنشـد :

إن الطبيب بطبه ودوائه ... لا يستطيع دفاع نحب قد أتى
مات المداوى والمداوى والذى ... جلب الدواء ومن أذل ومن عتى

وروى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه أتى بإناء ليشرب منه فأخذه بيده ونظر إليه ، وقال الله أعلم كم فيك من عين كحيل ، وخد أسيل .

والحكايات فى هذا المعنى كثيرة ، والوجود شاهد بتجديد ما دثر ، وتغيير ما غبر ، وعن ذلك يكون الحفر والإخراج ، واتخاذ الأدانى ، وبناء الأبراج ، ورحم الله القائل :

خفف الوطء ما أظن أديم الأرض    إلا من هذه الأجســــاد
رب لحد قد صار لحداً مراراً    ضاحك من تزاحم الأضداد

## حديث الموت كفارة لكل مسلم :

رواية أبو نعيم : الموت كفارة لكل مسلم(١) إنما كان الموت كفارة لكل ما يلقاه الميت فى مرضه من الآلام والأوجاع ، وقد قال صلى الله عليه وسلم « ما من مسلم يصيبه أذى من مرض فما سواه إلا حط الله به سيئاته كما تحط الشجرة ورقها ( رواه مسلم ) وأخرجه القرطبي فى التذكرة .

وفى الموطأ عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « من يرد الله به خيراً يصب منه » .

وفى الحديث القدسي يقول الله تعالى — إنى لا أخرج أحداً من الدنيا ، وأنا أريد أن أرحمه ، حتى أوفيه بكل خطيئة عملها ، سقماً فى جسده ، ومصيبة فى أهله ، وولده وضيقاً فى معاشه ، وإقتاراً فى رزقه حتى أبلغ منه مثاقيل الذر ، فإن بقى عليه شيء شددت عليه الموت حتى يفضى إلى كيوم ولدته أمه(٢) .

وهذا بخلاف من لا يحبه ولا يرضاه كما فى الخبر « وعزتى وجلالى لا أخرج من الدنيا عبداً أريد أن أعذبه حتى أوفيه بكل حسنة عملها بصحة فى جسده ، وسعة فى رزقه ، ورغد فى عيشه ، وأمن فى سربه ، حتى أبلغ منه مثاقيل الذر ، فإن بقى له شيء هونت عليه الموت ، حتى يفضى إلى وليس له حسنة يتقى بها النار .

وفى مثل هذا المعنى ما خرجه أبو داود بسند صحيح ، عن عبيد

---

(١) وقيل أنه حديث موضوع (٥٩٦٢) رواه أبو نعيم فى الحلية والبيهقى عن أنس .
(٢) وإن لم نعثر على إسناد قوى لهذا الحديث ولكن ثمة روايات أخرى بألفاظ مختلفة تشير إلى نفس المعنى وتقويه .

ابن خالد السلمى وكانت له حجته عن النبى صلى الله عليه وسلم « موت الفجأة أخذة أسف للكافر » (١) .

وفى الترمذى عن عائشة رضى الله عنها عن موت الفجأة « أنها راحة للمؤمن وأخذة أسف للكافر(٢) » .

إن المؤمن ليعمل الخطيئة فيشدد بها عليه عند الموت ليكفر بها عنه . النسخ .

**حسن الظن بالله :**

قال صلى الله عليه وسلم ( لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله) رواه البخارى .

إن قوماً أساءوا الظن بالله فقال لهم سبحانه وتعالى ( وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين ) .

ويروى ابن ماجة عن أنس رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم دخل على شاب وهو فى الموت فقال : كيف تجدك ؟ . قال : أرجو الله ، وأخاف ذنوبى . فقال صلى الله عليه وسلم لا يجتمعان فى قلب عبد مؤمن فى مثل هذا الموطن ألا أعطاه الله ما يرجو وأمنه مما يخاف . ( خرجه الترمذى ، ورواه بعضهم مرسلا ) .

وما جاء فى التذكرة للقرطبى ، حدثنا أبو بكر بن سابق الأموى ، قال أبو مالك عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يذكر من مناجاة موسى عليه السلام أنه قال : ياموسى أنه لن يلقانى عبد لى فى حاضر القيامة إلا فتشته عما فى يدية ألا ما كان من الورعين فإنى أستحييهم وأجلهم فأكرمهم فأدخلهم الجنة بغير حساب ، فمن استحيا من الله فى الدنيا .

---

(١) رواه القرطبى فى التذكرة بدون تخريج .

(٢) حديث ضعيف (٥٩٠٨) الجامع .

استحيا الله سبحانه وتعالى من تفتيشه وسؤاله ، ولم يجمع عليه حياءين كما لا يجمع عليه خوفين .

وحسن الظن بالله تعالى ينبغى أن يكون أغلب على العبد عند الموت منه فى حال الصحة وهو أن الله تعالى برحمته ، سيرحم ، ويتجاوز عنه ويغفر له ، وينبغى لجلسائه أن يذكروه بذلك حتى يدخل فى قوله تعالى « أنا عند ظن عبدى فليظن بى ما شاء »

وفى ذلك يقول بعض الحكماء إذا رأيتم بالرجل الموت فبشروه بلقاء ربه ، وهو حسن الظن به ، وإذا كان حياً فخوفوه .

والنهاية أن الخوف أفضل من الرجاء فى حالة الحياة والرجاء أفضل من الخوف فى حالة الموت .

وبعض الحكماء حضره الموت فقال : أتعذبنا وفى أجوافنا التوحيد ؟ لا أراك ألا تفعل . . اللهم أغفر لمن لم يزل على حال السحرة ، فى الساعات التى غفرت لهم فإنهم قالوا آمنا برب العالمين . .

وعلى المؤمن ألا يقنط من رحمة ربه ، فإن الله يغفر الذنوب جميعاً ، وعليه فى حياته أن يحاسب نفسه ، ويخيفها من عذاب ربه ، ويهديها إلى سواء الصراط ، وألا يمنيها الأمانى العذاب ، فإن رحمة الله قريب من المحسنين ( أى الذين يعبدون الله فى مقام الإحسان كأنك ترى الله ، فإنه يراك . .

## تلقين الميت : لا إله إلا الله :

روى مسلم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقنوا موتاكم لا إله إلا الله(١) .

---

(١) ليست حكمة عمر بل يروى كحديث رواه أبونعيم فى الحلية بإسناد ضعيف عن واثلة ابن الأسقع / ٢٠٨ .

وقد ورد الحديث بروايات شتى : وأخرجها مسلم فى صحيحه ولفظه التلقين عند ابن حبان (٧١٩) .

ومن حكمة لعمر بن الخطاب « احضروا موتاكم ولقنوهم لا إله إلا الله وذكروهم فإنهم يرون ما لا ترون(١) » .

ذكر أبو نعيم : عن الرسول صلى الله عليه وسلم ( احضروا موتاكم ولقنوهم لا إله إلا الله ، وبشروهم بالجنة ، فإن الحليم من الرجال يتحير عند ذلك المصرع ، وإن الشيطان أقرب ما يكون من ابن آدم عند ذلك المصرع ، والذى نفسى بيده لمعاينة ملك الموت أشد من ألف ضربة بالسيف والذى نفسى بيده لا تخرج نفس عبد من الدنيا حتى يتألم كل عرق منه حياله ( حديث غريب(٢) ) .

قال العلماء : تلقين الميت سنة مأثورة عجل بها المسلمون ، وذلك ليكون آخر كلامهم لا إله إلا الله ، فيختم له بالسعادة ، وليدخل فى عموم قوله عليه السلام ، من كان آخر كلامه لا إله إلا الله ، دخل الجنة ( أبو داود ) .

وليعلم المحتضر ، والملقن ، أن الشيطان فى هذه الحالة يحضر ليفسد على المؤمن عقيدته فهى مزلقة فليحترس منها كل مؤمن ، فكثيراً ما يأتى بما يغرى ، نعوذ بالله من سوء الخاتمة ، وقد كره أهل العلم الإكثار من التلقين ، فإذا قالها فدعوه لئلا يتبرم أو يتضجر ، ويثقلها الشيطان عليه فيكون سبباً لسوء الخاتمة ، والأفضل أن يقوم بهذا التلقين رجل صالح عالم بخبايا النفوس ، فيأخذه بالهوين ، ويبشره بالجنة ، ونعيمها ، ويذكره برحمة الله التى وسعت كل شىء ، والمقصود أن يموت الرجل أو المرأة وليس فى قلبه إلا الله سبحانه وتعالى ، لأن المدار على القلب ، وبعمل القلب تكون النجاة ، أما حركة اللسان إذا لم تكن مترجمة عن أعمال القلب فإنه لا فائدة منها .

---

(١) وهذا الحديث أم سلمة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا حضرتم المريض أو الميت فقولوا خيرا ، فإن الملائكة يومنون على ما تقولون » . أخرجه مسلم والبيهقى (٣/٣٨٤) وغيرهما .

(٢) أورده القرطبى فى التذكرة .

ويرى بعض العلماء ، وهو رأى وجيه ، أن يكون التلقين بذكر الحديث عند المحتضر بدلا من أمره فينبه هو ، بدون الإلحاح عليه . .

ويروى عن عبد الله بن شبرمه أنه قال : دخلت مع عامر الشعبي على مريض نعوده فوجدناه لما ألم به ، ورجل يلقنه الشهادة ويقول له : قل : لا إله إلا الله ، وهو يكثر عليه ، فقال الشعبي ، أرفق به ، فتكلم المريض وقال : إن تلقني ولا تلقني فإني لا أدعها ثم قرأ ( والزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها ) فقال الشعبي الحمد لله الذى نجى صاحبنا هذا ، وقيل للجنيد ( من كبار الصوفية ) عند موته قل : لا إله إلا الله ، فقال ما نسيته فأذكره . . وقضى ولم ينطق نكلمة التوحبد .

ويجب على الحاضرين ، احتضار الميت ، ألا يطغوا وأن يتكلموا بخير ففى رواية مسلم عن أم سلمة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا حضرتم المريض أو الميت فقولوا خيراً فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون . . قالت لما مات أبو سلمة أتيت النبى صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله : إن أبا سلمة قد مات ، فقال : « قولى اللهم اغفر لى وله وأعقبنى منه عقبي حسنة ، قالت ، فأعقبنى الله من هو خير منه ، رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

وعنها ، قالت ، دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبى سلمه ، وقد شق بصره فأغمضه ثم قال : « إن الروح إذا قبض تبعه البصر » فضبج ناس من أهله ، فقال : « لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون ، ثم قال اللهم اغفر لأبى سلمة . وارفع درجته فى المهديين ، واخلفه فى عقبة فى الغابرين واغفر لنا وله يارب العالمين ، وأفسح له فى قبره ، ونور له فيه » .

ويستحب أن يحضر الميت الصالحون من الناس وأهل الخير ، فهم عادة يقولون خيراً فيجتمع دعاؤهم بتأمين الملائكة فينتفع بذلك الميت .

**ما يقال عند تغميض الميت :**

( حديث ) : إذا حضرتم موتاكم فأغمضوا البصر فإن البصر يتبع الروح ، وقولوا خيراً فإن الملائكة تؤمن على ما قال أهل الميت ( الحديث فى التذكرة للقرطبى بدون إسناد )

( حديث آخر ) : قالت حفصة بنت سيرين عن أم الحسن قالت : كنت عند أم سلمة فجاءها إنسان فقال فلان بالموت ، فقالت انطلق فإذا احتضر فقول السلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

ومن حديث سفيان الثورى : قال إذا غمضت الميت فقل بسم الله وعلى ملة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسبح ، ثم تلا سفيان . والملائكة يسبحون بحمد ربهم » .

وتغميض الميت يكون بعد خروج الروح . .

**الفتن التى يراها المحتضر قبل أن يسلم الروح :**

تشغله نفسه بما كان يشغلها وهو حى ، فيموت على ما كان عليه فى حياته ، فإن كان عاشقاً مات وهو يتحدث عن معشوقته ، كما جاء فى القصة الآتية :

يحكى أن رجلا كان واقفاً بإزاء داره ، فمرت به جارية جميلة ، وسألته أين الطريق إلى حمام بنجاب ؟ فأشار إليها وأخذها إلى داره ، قائلا هذه حمام بنجاب ، فدخلت ودخل وراءها ، فلما رأت نفسها أنها خدعت . وأنها دخلت داراً ولم تدخل حماماً ، أظهرت له البشر والمودة والفرح باجتماعها معه وتصنعت له تصنع النساء ، وقالت له : يصلح معنا ما تطيب به عيشنا ، وتكمل لذتنا وتقربه أعيننا ، فقال لها سآتيك بما تطلبينه ، وبما تشتهينه ، فخرج وتركها فى الدار ظاناً أنها ستعطيه مأربه ، ومضى فأتى ما يصلح لهما ورجع ، ودخل الدار فوجدها قد خرجت وذهبت ولم يجد لها

أثراً ، فهام بها ، واكثر الذكر لها ، والجزع عليها ، وجعل يمشى فى الطريق والأزقة ، يهتز بذكراها وينشىء ويقـول :

يارب قائلة يوماً وقد لغبت أين الطريق إلى حمام بنجاب

وفضح نفسه بعشقها ، وردت عليه أخرى من طاق لها :

هلا جعلت لها لما ظفرت بهـــا حرزاً على الدار أو قفلا على الباب

فزاد هيمانه ، واشتد هيجانه ، ولم يزل كذلك حتى وافاه الموت ، وهو يردد ما يقوله .

ومثل هذا فى الناس كثير من غلبت عليه أحوال الدنيا والاشتغال بها والهم بها ، فإذا وافاه الموت أخذ يهذى بما كان فيه ويتعلم بما كان عليه . .

قيل لفلان ، قل لا إله إلا الله فقال الدار الفلانية أصلحوا فيها كذا ، والجنان الفلانى أعملوا فيها كذا ، واغرسوا فى الأرض كذا ، واجتهدوا أن يكون سرادق مأتمى يأخذ بالأبصار ، وأن يقرأ فيه فلان من كبار المقرئين ، وأن ، وأن . . .

## سوء الخاتمة والعياذ بالله :

( حديث مسلم ) ( أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن الرجل ليعمل الزمان الطويل بعمل أهل الجنة ثم يختم له عمله بعمل أهل النار ، وأن الرجل ليعمل الزمان الطويل بعمل أهل النار ثم يختم له عمله بعمل أهل الجنة)

وفى البخارى . . . ( وإنما الأعمال بالخواتيم ) .

قال العلماء : إن سوء الخاتمة لا تكون إلا لمن استقام ظاهره ، وخبث باطنة ، كأهل التأويل ، الذين يكذبون على الله ورسوله . . كالقائل عندما سئل عن الإيمان

كفرت بدين الله والكفر واجـــب على وعيد المسلمين قبيـــح

وكالمنافقين ، الذين يظهرون للناس غير ما يعتقدون فى قرارة أنفسهم كأهل الظاهر والباطن والشريعة والحقيقة ووحدة الوجود ، والاتحاد بالمعبود

ومثل القائل : ( مولاى بسر الجمع وجمع الجمع وكل شجى )

والقائــل : أراد موسى أن يرى الله فامتنع منه ، واراد الله أن يرانى فامتنعت عليه .

والقائــل : خضت بحراً وقف الأنبياء على شاطئه .

ومن المخوفات لسوء الخاتمة ، للمصر على الكبائر ، أو المبرر لفعلها ، كمن يبرر للفسق بأنه فن وللوثنية بأنها حقيقية ، وربما غلب ذلك على الفتى حتى ينزل به قبل التوبة ، فيصطلمه الشيطان وتختطفه ، والعياذ بالله ، أو يكون من الذين استقاموا على الهدى ، ثم غلبت عليهم أحوال الدنيا ، كأن يكون قد سافر إلى بعض البلاد الأفرنجية ، فمد يده إلى حرام فاستحله ، أو تزوج مشركة أشركته قبل زواجه منها ، وغدا علماً من أعلام الكفر ، وإن كان مسمى باسم من أسماء الإسلام ، وذلك كثير والعياذ بالله .

وقد أتى القرآن الكريم بمثال يجب علينا نحن العلماء والمتعلمين أن نضعه نصب أعيننا ، فهو لا يزال يتردد ، ويتكرر ، كقصة إبليس الذى عبد الله فيما يروى ثمانين ألف سنة ( التذكرة ) وبلعام بن باعوراء الذى أتاه الله آياته فانسلخ منها إلى الأرض ( إتباعه الماديات وتفضيله إياها ) وبرصيصاً العابد الذى قال الله فى حقه (كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إنى برىء منك )

وقد جمعت بعض الكتب القديمة قصصاً لهؤلاء الذين غووا بعد ما اهتدوا وضربوها أمثلة ، ونحن لسنا فى حاجة إليها . فكثير من الناس يبدلون الطيب بالخبيث ، ويعبدون الله على حرف ويجعلون من الفواحش فنوناً ، ومن الشرك والاستعانة بغير الله ، إيماناً ، ومن الفرنجة والتعلق بالمشركات من أوربا وامريكا موضة . .

وكان النبي صلى الله عليه وسلم كما روى البخارى كثيراً ما يحلف قائلا : «لا ومقلب القلوب» ومعنى التقليب .. يصرفها بسرعة، ومن ناحية أخرى من قبول إلى رد ، من كراهية إلى حب ، من إقتناع إلى شك ، فالله سبحانه وتعالى القلوب بين يديه يصرفها كيف يشاء ، حتى لا يدرك الإنسان شيئاً إلا بمشيئة الله عز وجل .

وقالت عائشة رضى الله عنها « كان النبى صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول يامقلب القلوب ثبت قلبى على طاعتك ، فقلت يارسول الله إنك تكثر أن تدعو بهذا الدعاء فهل تخشى ، قال : وما يؤمننى ياعائشة وقلوب العباد بين إصبعين من أصابع الجبار إذا أراد أن يقلب قلب عبده قلبه .

ذلك حتى لا يعجب امرؤ بعمله ، وإيمانه ، وصلاته ، وصومه ، وجميع قرباته ولا يقول كما يقول أحد السفهاء من ( إن لله رجالا لو بزقوا ( بصقوا ) على جهنم لأطفأوها .

إن الأعمال الصالحة وإن كانت من كسب العبد الصالح ، فإنها من فضل الله تعالى وخيره . فمهما افتخر المفتخر بها ، فإنه يفتخر بشيء وليس من توفيقه ، بل هو من توفيق الله ورحمته له ، فربما سلب منك هذا كله لذنب عملته واستصغرته ، وكان عند الله كبيراً ، ولكنه تفضل ، وغفر وستر ، رحمة منه تعالى عليك . .

روى عن عثمان رضى الله عنه قال اجتنبوا الخمر فإنها أم الخبائث ، ونقص هذه القصة التى وردت فى كتب كثيرة ، لعل منها عظة ، لا سيما أن الخمر أصبحت موضة هذه الأيام ، فى حفلات السر والعلن ، وفى مناسبات الأفراح وأعياد الميلاد ، وما إلى ذلك ، والناس تستهين بتناولها ، ، يقال أنه كان رجل ممن كان قبلنا تعبد كثيراً ، فعلقت به أمرأة

غوية فأرسلت إليه جاريتها فقالت له : إنا ندعوك للشهادة ، فانطلق مع جاريتها فطفقت الجارية كلما دخل بابا أغلقته دونه حتى أفضت إلى امرأة وضيئة ، عندها غلام وباطية خمر فقالت ، إنى والله ما دعوتك للشهادة ولكن دعوتك لتقع على ، أو تشرب من هذا الخمر كأساً ، أو تقتل هذا الغلام ، فطلب أخفها ضرراً فى رأيه وهى شربه الخمر ، فسقته كأساً فانتشى وقال : زيدينى فسقته ثانية وثالثة وأخرى ، فما لبث أن وقع عليها وقتل غلامها . .

إن سوء الخاتم ، لا يأتى من فراغ ، إن الذين يحاربون الله ورسوله ، ويظهرون للناس التقوى ، والصلاح ، ويلقبون أنفسهم بألقاب العلم والفضائل الذين يقول الله فى حقهم « ومن الناس من يقول آمنا بالله واليوم الآخر وما هم بمؤمنين ، يخادعون الله ورسوله وما يخدعون ألا أنفسهم وما يشعرون » والذين يمالئون الفسق ، والفساق ، ويركنون إلى الشرك والمشركين ، والوثنيين ، وتراهم فى كل واد يهيمون ، يرفعون إلى حكام الألوهية الظلمة وأعوان الظلمة فيقلدهم الدهماء قائلين هؤلاء حملة العلم وخريجى معاهد الفقه والعلم ، هل سنفهم فى الدين مثلهم ؟ لابد أن نقلدهم فيما يصنعون . ؟

إن حسن الختام ، وسوء الختام ، الفيصل فيمن عبد الله صدقاً ، ومن عبده رياء — وما ربك بظـلام للعبيد . . .

* * *

**هل يمكن أن نعرف قرب حضور ملك الموت :**

يقال فى الأخبار القديمة — أن بعض الأنبياء سأل ملك الموت عليه السلام : أما لك تقدمه بين يديك ليكون الناس على حذر منك ؟ قال : نعم . لى رسل كثيرة ، أهمها العلل ، والأمراض ، والشيب ، والهموم ، فإذا قبضته ناديته ألم أقدم إليك رسولا بعد رسول ، ونذير بعد نذير ، لعل هذا الحديث على لسان الحال .

ولقد جاء فى القرآن الكريم ( أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير ) .

وآية أخرى ( ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحـــق ) .

وفى البخارى ( أعذر الله إلى امرئ أخر أجله حتى بلغ ستين سنة ) أى أعطاه الله سبحانه وتعالى العذر الكافى فى بلوغه هذه السن ولم يتق ربه .

ومن الأعذار المشاهدة ، موت الأقارب والأصدقاء والأهلين ، والجيران ذلك إنذار برحيل الإنسان نفسه .

كل ابن أنثى وإن طالت سلامته     يوماً على آلة حدباء محمـــــول

والقائـــــل :

واللبيب اللبيب من ليس يغتر     بـــكون مصيره للنفـــادِ

صاح. هذى قبورنا تملأ الرحب     فأين القبـــور من عهد عادِ

* * * *

ومن كمال العقل أن يعرف الإنسان هذا المصير ، فيفصل بين الحسنات والسيئات ، ولا يبرر عمل السيئة بأنها حسنة ، كما برر إبليس بقوله حينما أخطأ ( أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين ) .

وإذا بلغ الإنسان الستين ، ولم يثب إلى ربه ، ولم يقلع عن الخطايا والآثام ، فمتى يثوب إذن ؟ فكم لله من أنذار ، وأنذار وحجته سبحانه وتعالى هى البالغة ، ولا تظلم نفس شيئاً . .

قال مالك رضى الله عنه أدركت أهل العلم ببلدنا وهم يطلبون الدنيا ، ويخالطون الناس ، حتى إذا بلغوا الأربعين اعتزلوا الناس .

### هل يمكن أن يتشكل « ملك الموت » فى صورة إنسان ، ويأتى لزيارة بعض الناس ؟ :

فى ذلك الباب قصص كثيرة لا نأخذها مأخذ الخبر اليقين ، بل نتركها غير واثقين ما عدا ، ما جاء فى زيارته لبعض الأنبياء ، وهذا ليس فى حيز

المستحيل ، ففى قصة لوط عليه السلام وقومه ما يشفى غليل النفس فى إمكان حصول ذلك .

## متى تنقطع التوبة ؟ :

فى الحديث الشريف الذى رواه ( ابن ماجة ) إذا عاين يريد إذا عاين ملك الموت أو الملائكة ، وهو معنى قوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث الآخر وإن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر » والترثرة ، أى عند الغرغرة ، وبلوغ الروح الحلقوم — يعاين ما يصير إليه من رحمة أو هوان ، ولا تنفع حينئذ توبة ولا إيمان ، كما قال تعالى ( فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا ) وقال ( وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إنى تبت الآن ) فالتوبة مبسوطة للعبد حتى يعاين قابض الأرواح وذلك عند غرغرته بالروح ، وإنما يغرغر به إذا قطع الوتين ، فشخص من الصدر إلى الحلقوم فعندها المعاينة وعندها حضور الموت ، فيجب على الإنسان أن يتوب قبل المعاينة والغرغرة ، وهو معنى قوله تعالى (ثم يتوبون من قريب)(١)

والتوبة فرض على المؤمنين باتفاق العلماء لقوله تعالى ( وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون ) . وقوله : ( يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً ) .

وشروطها : الندم بالقلب وترك المعصية فى الحال ، والعزم على ألا يعود إلى مثلها ، وأن يكون ذلك حياء من الله تعالى وخوفاً منه لا من غيره ، ورد الحقوق لأهلها ، فإذا اختل شرط من هذه الشروط لم تصح التوبة .

وقد قيل من شروطها : الاعتراف بالذنب ( أى لا تبرؤه ) وكثرة الاستغفار الذى يحل عقد الإصرار » ويثبت معناه فى الجنان لا التلفظ باللسان .

---

(١) ويقول البعض الآخر من العلماء بل يقصد بـ ( من قريب قرب ) عهد من الذنب أى مجرد اقتراف الخطأ يسارعون بالتوبة . والله أعلم .

أما هؤلاء الذين يستغفرون ، وهم مكبون على المعاصي ، التي يستغفرون منها ، وربما جعل « السبحة » بين يديه ليعرفه الناس بالتقوى ، وهو يهزأ بربه ، ويراءى ، فذلك منه استخفاف ، وعدم توقير الله سبحانه وتعالى ، وهو ممن اتخذ آيات الله هزوا كما جاء فى القرن الكريم ( ولا تتخذوا آيات الله هزوا ) (١) .

والتوبة كما يقول الإمام على رضى الله عنه : اسم يقع على ستة معان ، على الماضى من الذنوب ، والندامة ولتضييع الفرائض الإعادة ، ورد المظالم لأهلها ، وإدئاب النفس فى الطاعة كما أدأبتها فى المعصية ، وإذاقة النفس مرارة الطاعة كما أذقتها حلاوة المعصية ، وأن تزيد نفسك فى طاعة الله كما زينتها فى معصيته ، والبكاء بدل كل ضحك ضحكته . .

وقال بعضهم زائدا ، أن تضيق الأرض عليك بما رحبت ، وتضيق عليك نفسك كالثلاثة الذين خلفوا .

وقيل التوبة النصوح : رد المظالم ، واستحلال الخصوم ، وإدمان الطاعات ، وبالجملة ، فالذنوب التى يتاب فيها إما كفر أو غيره ، فتوبة الكافر إيمانه مع ندمه على سالف كفره ، وليس مجرد الإيمان نفس التوبة .

وفى ذات المعنى ، الكافر ، والشرك ، والملحد ، والزنديق . . الخ .

لابد أن يعرف كل منهم « الإيمان » الصحيح ، وأن يتبع « جماعة المؤمنين » السلف الصالح الذى مات الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهو عنهم راض ، وهم الذين علموا التابعين ، وتابعيهم إلى يوم القيامة الدين الصحيح ، ومنهم هؤلاء الأئمة الفضلاء ، فقهاء الدين ، أبو حنيفة ومالك والشافعى وابن حنبل ، والأوزاعى ، والثورى ، والليث ، وغيرهم ،

---

(١) نرى كثيراً يحملون السبحة بين أيديهم ، ولا يسبحون ولا يستغفرون ، بل يعدون حباتها حبة حبة ويتفاخرون بها كأن تكون من الكهرمان أو غيره ، والسبحة على العموم ، ابتدعها المبتدعون وأخذوها من الكنائس ، ومن الديانات الأخرى .

ذلك هو الرعيل الأول الذى نأخذ عنهم فقههم ، فقد تلوثت العقيدة بهذه الفرق الضالة المنتشرة فى البلاد الإسلامية كفرق الشيعة والخوارج والمعطلة ، والباطنية ، الذين فلسفوا قضايا العقيدة الإسلامية . وما إليها من هذه الفرق الكثيرة الضالة .

ومن الأحاديث التى وردت مرفوعة إلى النبى صلى الله عليه وسلم فى صفة التائب من حديث ابن مسعود أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : وهو فى جماعة من أصحابه أتدرون من التائب ؟ قالوا اللهم لا . قال : إذا تاب العبد ولم يرض خصماؤه ، فليس بتائب ، ومن تاب ولم يغير لباسه فليس بتائب ، ومن تاب ولم يغير مجلسه فليس بتائب ، ومن تاب ولم يغير نفقته وزينته فليس بتائب ، ومن تاب ولم يوسع خلقه فليس بتائب ، ومن تاب ولم يوسع قلبه وكفه فليس بتائب فإذا تاب عن هذه الخصال فذلك تائب حقاً .

ثم قال النبى صلى الله عليه وسلم : فإذا تاب عن هذه الخصال فذلك تائب حقاً ، قال العلماء إرضاء الخصوم يكون بأن يرد عليهم ما غصبهم من مال أو خانهم أو غلهم أو اغتابهم أو خرق أعراضهم أو شتمهم أو سبهم فيرضيهم بما استطاع ويتحللهم ، فإن انقرضوا ، فإن كان لهم قبله مال ، رده إلى الورثة ، وإن لم يعرف الورثة تصدق به عنهم ، ويستغفر لهم .

وإن فى حديث أبى هريرة عن الرسول صلى الله عليه وسلم فى الرجل الذى قتل مائة نفس ثم سأل . هل من توبة ؟ فقال له العالم : ومن يحول بينك وبينها ، انطلق إلى أرض بنى فلان فإن بها ناسا صالحين يعبدون الله ، فاعبد الله معهم ، ولا تعد إلى أرضك فإنها أرض سوء ( مسلم ، أبو داود ) وينص هذا الحديث على أن هذا الرجل كان فيمن قبلنا ! .

وفى صحيح مسلم والبخارى : أن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب إلى الله تاب الله عليه .

وروى أبو حاتم البستى : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، جلس على المنبر ، ثم قال : والذى نفسى بيده ثلاث مرات ثم سكت فأكب كل رجل منا يبكى حزينا ليمين رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال ما من عبد يؤدى الصلوات الخمس ، ويصوم رمضان ويجتنب الكبائر السبع إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يوم القيامة حتى إنها لتصفق ، ثم تلا ( إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما ) .

إن فى الذنوب كبائر وصغائر ، خلافا لمن قال كلها كبائر ، وإن الصغائر كاللمسة والنظرة تكفر باجتناب الكبائر قطعا بوعد الله الحق ، ما دامت الفرائض مقامة كما جاء فى حديث مسلم قوله صلى الله عليه وسلم « الصلوات الخمس ، والجمعة إلى الجمعة ، ورمضان إلى رمضان مكفرات ما بينهن إذا اجتنبت الكبائر ، وعلى هذا جماعة من المفسرين والفقهاء ، وأما الكبائر فلا يكفرها إلا التوبة منها والإقلاع عنها ، وقد اختلف فى بيان الكبائر والصغائر وتعيينها .

وليس معنى أن الصغائر مغفورة بالطاعات واجتناب الكبائر ، أن يكون هذا تصريحا بفعلها ، فالمفهوم ضمن العبارة ، إنها الصغائر التى تأتى عفوا لخاطر بدون نية أو قصد(١) ،أو إصرار ،فإن فقدت هذه العناصر أو بعضها أصبحت كبيرة والله أعلم ، قال تعالى ( الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم إن ربك واسع المغفرة ) ومعنى اللمم ، والله أعلم . ما يلم بالإنسان دون قصد أو نية ، فالنية والقصد يوسعان الذنب ، ويكبرانه . .

---

(١) لأن الأمور بمقاصدها ، والأعمال بالنيات ، ولا ثواب إلا بالنية هكذا قال علماء الفقة والأصوليون إقراراً للشريعة .

**التبشير عند الموت والتنذير :**

قيل فى تفسير قوله تعالى ( الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ) إذا استنقعت نفس العبد المؤمن جاءه ملك الموت فقال : السلام عليك يا ولى الله ، الله يقرئك السلام وتفسير ( تحيتهم يوم يلقونه سلام ) فسرها بعضهم أن ذلك عند الموت ، وفى سنن ابن ماجه عن أبى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : تحضر الملائكة ، فإذا كان الرجل صالحا قالوا : أخرجى أيتها النفس الطيبة كانت فى الجسد الطيب ، اخرجى حميدة وأبشرى بروح وريحان ورب راض غير غضبان ، فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج ، ثم يعرج بها إلى السماء فيفتح لها ، فيقال من هذا ، فيقولون فلان بن فلان فيقال مرحبا بالنفس الطيبة ، كانت فى الجسد الطيب ، ادخلى حميدة ، وأبشرى بروح وريحان ورب راض غير غضبان حتى تنتهى إلى السماء السابعة ، أما إذا كان الرجل سوءا ، قال اخرجى أيتها النفس الخبيثة كانت فى الجسد الخبيث ، اخرجى ذميمة وابشرى بحميم وغساق وآخر من شكله أزواج ، فلا يزال يقال لها هذا حتى تخرج ثم يصرح بها إلى السماء الأولى فيستفتح لها فيقال : من هذا فيقال فلان . فيقال لا مرحبا بالنفس الخبيثة كانت فى الجسد الخبيث ارجعى ذميمة ، فإنها لاتفتح لها أبواب السماء ثم تصير إلى القبر ( خرج هذا الحديث أبو بكر بن أبي شيبة (١) ) وردت أحاديث بهذا المعنى فى الصحيحين ، باختلاف فى اللفظ .

**حديث من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه :**

روى عن عائشة رضى الله عنها تفسير هذا الحديث ، وقد سألها شريح ابن هانى ، قالت رضى الله عنها إذا شخص البصر ، وحشرج

---

(١) التذكرة للقرطبى ( ١/٧١ ) ، والروح لابن القيم ص ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ .

الصدر ، واقشعر الجلد تشنجت الأصابع ، فعند ذلك ، من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه .

فالمعروف أننا نكره الموت فطرة ، فهذا الحديث خاص باللحظات الأخيرة فى حياة الإنسان .

ومن الأحاديث الصحيحة ( أن الله عز وجل إذا أراد بعبد خيرا استعمله ، قيل كيف يستعمله يا رسول الله ، قال يوفقه لعمل صالح قبل الموت ) .

وفى تفسير عائشة رضى الله عنها – لقوله تعالى – حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون ( إذا عاين المؤمن الملائكة قالوا نرجعك إلى الدنيا فيقول إلى دار الهموم والأحزان ، ويقول قدماً إلى الله عز وجل ، وأما الكافر فسيقولون : نرجعك إلى الدنيا فيقول ( ارجعون لعلى أعمل صالحا ) .

وتفسير حديث ( إذا استنقعت نفس المؤمن ( قال الزهرى يعنى إذا اجتمعت فى فيه حين تريد أن تخرج كما يستنقع الماء فى قراره ، والنفس هنا الروح .

**وما جاء فى تلاقى الأرواح فى السماء وسؤالهم عن أهل الأرض ، وعرض الأعمال عليهم :**

لقد أورد القرطبى فى التذكرة مجموعة أخبار ، ليس فيها دليل واحد يجعلنا نؤمن بصحة عرض الأعمال على الموتى ، أو على الرسول صلى الله عليه وسلم فى قبره ، أو العالم عالم الآخر ، وما أحسن أن يعبر عنها القرطبى رضى الله عنه بقوله ص ٧٦ ( هذه الأخبار وإن كانت موقوفة فمثلها لا يقال من جهة الرأى (١) ) .

---

(١) راجع التذكرة للقرطبى (١/٧٦) .

وهى تعارض قوله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم آية ٤٦ يونس ( وإما نرينك بعض الذى نعدهم أو نتوفينك فإلينا مرجعهم ثم الله شهيد على ما يفعلون ) وكما جاء على لسان عيسى بن مريم عليه السلام ( وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد ) .

ومن ناحية المنطق والرأى ، على فرض أن الأعمال تعرض على الموتى(١) ، فهم قد يكونون فى نعيم فتؤذيهم أعمال الأحياء بما فيها من مخالفة لله فيتألمون ويتوجعون وهم فى دار النعيم ، وإما أن يكونوا فى جحيم ، فكيف يفرحون بالأعمال الصالحة من ذراريهم ، وهم فى دار الحزن ؟ ! .

ومن هذه الأحاديث التى نسبت إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، والتى يرددها بعض خطباء المساجد فى العوام وغيرهم الحديث المشهور ( حياتى خير لكم ومماتى خير لكم تعرض على أعمالكم .. الخ ، وبالرغم من مخالفة هذا الحديث للنصوص القرآنية ، فقد بحثه أحد العلماء بحثا من جهة السند ، وقال فيه ما يأتى أولا : من جهة النقل زعم بعض الأفاكين أن مخرجه البزار عن عبد الله بن مسعود وأنه متواتر تواترا معنويا ، وهذا كذب صراح . فهو مروى عن أبى بكر بن عبد الله المزنى وهو ليس بصحابى البتة ، ولم يعرف عنه أنه أخذه عن أحد عن النبى صلى الله عليه وسلم(٢) .

ثانياً من جهة المعنى نفيد ما يفيد عرض أعمال الأمة كلها على النبى صلى الله عليه وسلم بعد موته وهذا يقتضى إثبات العلم المطلق له صلى الله عليه وسلم بحيث يتسع للإحاطة بعمل كل فرد من أفراد الأمة كلها فى كل مكان يحل فيه من وقت مماته إلى وقت مبعثه ، وهذا معارض لما علم من دين الله بالضرورة من أنه ( لا يعلم من فى السموات والأرض الغيب

---

(١) راجع كتابنا — إن شئت — مواقف يوم القيامة ( ص ١٤٤ — ١٤٨ ) .

(٢) راجع كتابنا — إن شئت ( مواقف يوم القيامة ) ص ١٥٠ ...

إلا الله وما يشعرون أيان يبعثون ) وقوله تعالى ( يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب ( وحديث الحوض الثابت الصحيح - أن النبي لا يدرى ما أحدث أصحابه بعده ، وفيه أن النبي صلى الله عليه وسلم مكلف بعد موته بنحو ما كان مكلفا به حال حياته أو أشد لأنه يحمد الله إن وجد خيرا ويستغفره للعاصين من أمته إن وجد شرا وقد ثبت عنه قوله ( إذا مات العبد انقطع عمله ) وأنه يتأسى يوم القيامة بقول عيسى بن مريم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شىء شهيد .

وفيه أنه يغرى العصاة من أمته بالتمادى على عصيانهم وتفريطهم فى جنب الله ودينه اتكالا منهم على استغفاره صلى الله عليه وسلم لهم ، فى قبره ، وهذا كله مصادم لأصل الدين القاضى بحصر وقصر كل رغبة ورهبة للعبد ومن الله وحده دون من سواه ، وحسبك درء هذا الحديث الخاطىء بما فى حديث الغلول الذى فيه ( لا ألفين أحدكم يأتى يوم القيامة وعلى رأسه بعير له رغاء يقول يا محمد أغثنى فأقول لا أملك لك من الله شيئاً قد أبلغتك ( مجلة الهدى النبوى - العدد الرابع ، ربيع الثانى ١٣٦٧ )

وقد غالى بعض الباطنية فى وصف أوليائهم الموتى بأنهم يسلمون عليهم فى قبورهم يدا بيد ففى ص ٤٢ جاء فى الطبقات الكبرى للشعرانى عن الشناوى أنه كان يخاطب البدوى فى قبره ويستشيره فى أموره أمام جمهور السامعين ، وطلب مرة أخذ العهد عليه فخرجت يده من الضريح أمام الحاضرين ، وفى ص ٧٢ يقول الشعرانى ( وكان كثير من محققى الصوفية يخاطب الحيوانات والنبات كسيدى عبد الرحيم القنائى ، وزعم جماعة الرفاعية أن قطبهم أحمد الرفاعى ، سلم على الرسول صلى الله عليه وسلم فى قبره ، وقبل يده (١).

---

(١) راجع كتابنا - إن شئت - ( السحر وتحضير الأرواح ) ص ٤١ ، ٤٢ .

وبعد هذه الشطحات التى يقوم بنشرها كثير ممن يقولون عن أنفسهم أنهم « أرباب الطريق ، والسالكين ، والأقطاب ، وأهل الله والويل لمن يعترض الطريق » .

## كتاب الروح لابن القيم :

كتاب يحتوى الكثير – بحسن نية – من الأحاديث المكذوبة، وليست هذه خلة ابن القيم ، حتى رأى بعض أهل العلم أن هذا الكتاب منسوب إلى ابن القيم زورا ، لأنه ليس من منهجه ، ولكن المحقق الكبير محمد نجيب المطيعى، بعد أن فند أحاديث هذا الكتاب ، وكل أحاديثه عن عرفان الموتى بأحوال أقاربهم الأحياء ، وكدرهم من عدم زيارتهم لهم فى قبورهم ، وذهابهم إليهم مناما ، وخروجهم من المقابر ورجوعهم إليها ، ووصل إلى أن كل هذه الأحاديث موضوعة وقام مشكورا ، بشرح علل التجريح فى كتابه « من علم السنة » فشفى ما فى الفؤاد من شك بين آيات قرآنية صريحة تثبت أن الموت فناء وهلاك ، وأحاديث تثبت أن الموتى أحياء يرون ويشعرون ويحسون بمثل ما يحس به الأحياء ، ويسلمون على من يسلم عليهم فى قبورهم ، ويرونهم ويشعرون بهم ، ويفرحون بمن يزورهم من أقاربهم الخ ، والله يقول ( هل يستوى الأحياء والأموات ، وما أنت بمسمع من فى القبور(١) ) .

غير أن الذى يتحير فيه العقل ، كيف يكون تلميذ ابن تيميه الذى حارب هذه الأساطير مؤمنا بهذه الأساطير ، ويرد الأخ الفاضل محمد نجيب المطيعى ص ٤١ العدد ١٢ سنة ١٣٨٤ من مجلة الهدى النبوى بقوله :—

إن هذا الكتاب لابن القيم يقينا وذلك للأسباب الآتية :

١ — إنه لم يند عن منهج ابن القيم فى البحث ، وقد عرفنا فى الشيخ

---

(١) راجع روح المعانى للإمام الألوسى فقد أفاض وأسهب فى شرح معانى هذه الآية وما شاكلها من آيات فى دقة وعمق .

رحمه الله أنه عندما يورد قضية يميل إليها ، يستطرد فى التماس الشواهد الاستدلالية ، ويحشد لها كل ما يؤيد مقصوده على جميع درجات الطرق والأسانيد بعجرها وبجرها ، وما هب فيها وما دب .

٢ — اقتضت أمانة العلامة أن يورد الحكايات التى ساقها عن أحوال الروح بعد انفصالها عن البدن ومظاهر أعمالها ، وما يفعل بها ، وبأسانيدها معزوة إلى رواتها ليتسنى للباحث النظر فيها والحكم عليها ، وهى طريقة كثير من أهل الإسناد وأصحاب المصنفات من الرعيل الأول تاركين الحكم على طرقها لغيرهم .

٣ — أن الكتاب وضع بعد وفاة العلامة الكبير ابن تيمية .

وبعــد ،

فإن كتب ابن القيم الأخرى تهدم قضايا هذا الكتاب الذى يتمسك به البعض وهذا ما نراه ، أن ابن القيم كتب على مسئولية رواة هذه الأحاديث التى وردت فى هذا الكتاب .

غير أننا وجدنا من القرطبى رضى الله عنه احتراسا عندما يورد حديثا من هذه الأحاديث ، فإنه ينسب العلم إلى الله فى صحة هذا الحديث أو عدم صحته ، ولا نجد هذا الاحتراس ، فى مؤلفات الغزالى حيال الأموات فى قبورهم الذين يعرفون الزائرين ويسلمون عليهم ، ويطلبون منهم قراءة القرآن على المقابر والزيارة فى أيام الجمعة والخميس والاثنين .. الخ .

ويعجبنى تفسير الإمام القرطبى لحديث ابن لهيعة عن النبى صلى الله عليه وسلم ( الميت يؤذيه فى قبره ما يؤذيه فى بيته ) ومنه ، ما وقع من عمر بن الخطاب لما آذى بعض الرجال على بن أبى طالب إذ قال له قبحك الله ، لقد آذيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قبره ، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يهدى لصديقات خديجة صلة منه وبرا ، يقول

القرطبي ، في معنى الحديث : الميت يؤذيه في قبره من كان يؤذيه في بيته إذا كان حيا ، أي أنه لو كان حيا لتأذي بما يقال عنه بعد وفاته .. الخ .

أما الميت ، فلا يحس ولا يشعر ، ومن قول الصديقة بنت الصديق أسماء بنت أبي بكر لابنها عبد الله بن زيد يحضه على قتال بني أمية ، وقد تقاعس قائلا : ( يا أماه أخاف أن يمثل القوم بي ) قالت : يا بني ما يضير الشاة سلخها بعد ذبحها ؟ ! .

رحم الله الإمام القرطبي ، في كتابه التذكرة لكثرة ما أورده من عبارات الاحتراس كلما يورد حديثاً ، أو خبرا ، لا يطمئن إليه(١) .

## أين تصير الروح بعد خروجها من الجسد ؟ :

يورد القرطبي ، في هذا المقام مقالا ، لا يثبته من حديث صريح ، ولا آية قرآنية كريمة ، مقالا في قصة طريفة ، لعلها حقيقة (٢) يقول : قال أبو الحسن القابسي رحمه الله : الصحيح من المذهب ، والذى عليه أهل السنة ، أنها ترفعها الملائكة حتى توقفها بين يدى الله تعالى فيسألها فإن كانت من أهل السعادة ، قال لهم سيروا بها وأروها مقعدها من الجنة فيسيرون بها في الجنة على قدر ما يغسل الميت ، فاذا غسل الميت وكفن ردت وأدرجت بين كفنه وجسده فإذا حمل على النعش ، فإنه يسمع كلام الناس ، من تكلم بخير ومن تكلم بشر ، فإذا وصل إلى قبره وصلى عليه ، ردت إليه الروح ، وأقعد ذا روح وجسد ، ودخل عليه الملكان الفتانان . .

وخبر آخر طريف أيضاً عن عمر بن دينار ، ما من ميت يموت إلا وروحه في يد ملك ينظر إلى جسده كيف يغسل ، وكيف يكفن ، وكيف يمشي به ، فيجلس في قبره — يلاحظ أن هذا الخبر ضد الخبر الأول .

---

(١) ونتمنى من إخواننا الباحثين أن يراعوا ذلك .

(٢) التذكرة ص ٧٩ .

وخبر ثالث : يقال للميت ، وهو على سريره ، اسمع ثناء الناس عليك ، أما ما جاء فى كتب الغزالى كشف علوم الآخرة ، فهو أعجب وألذ للسمع . .

يقول الغزالى فى كتابه كشف علوم الآخرة ( والغزالى من الذين يؤمنون بما يسمونه الكشف ( والكشف ضد الغيب ، فى القرآن الكريم يصف الله المؤمنين بقوله ( الذين يؤمنون بالغيب ،ولكن كثير من الصوفية ليس لديهم غيب ،فهم يقولون أنهم يرون المغيبات بالكشف ،يرون اللوح والقلم والعرش والجنة ، والنار ، وبعضهم تغالى فى فقال : إنه يرى الله مباشرة ، أليس ما يقوله أصدقائى الصوفية فى كتاباتهم عجيبا ؟ ! .

وإنى أورد مقالة الغزالى فى كتابه الكشف ، على سبيل النقل لا الاقتناع بما جاء فيها وأنقلها من كتاب التذكرة للإمام القرطبي (١)(إذا قبض الملك النفس السعيدة ..ولها ملكان حسان الوجوه ، عليهما أثواب حسنة ، ولهما رائحة طيبة ، فيلقونها فى حرير من حرير الجنة — وهى على قدر النحلة ، فيعرجون بها فى الهواء ، فلا يزال يمر بالأمم السالفة ، والقرون الخالية كأمثال الجراد المنتشر ، حتى ينتهى إلى سماء الدنيا فيقرع الأمين الباب فيقال للأمين ، من أنت فيقول : أنا صلصائيل ، وهذا فلان معى بأحسن أسمائه ، وأحبها إليه ، فيقول : نعم الرجل كان فلان ، وكانت عقيدته غير شاك ، ثم ينتهى به إلى السماء الثانية ، فيقرع الباب ، فيقال له من أنت ، فيقول مقالته الأولى ، فيقولون : أهلا ، وسهلا بفلان . كان محافظا على صلاته بجميع فرائضها ، ثم يمر حتى ينتهى إلى السماء الثالثة ، فيقرع الباب ، فيقال له من أنت ، فيقول الأمين مقالته الأولى

---

(١) قد يلاحظ القارى أنى سكت فى كتابى ( سكرات الموت ) عن مناقشة هذه الأحاديث ، والسبب أننى وضعته على عجلة من أمرى فور وفاة « أمى » رحمها الله تصدقاً عنها وترحماً عليها فلم يتسع لى الوقت آنئذ للبحث والدراسة .

والثانية ، فيقال له مرحبا بفلان ، كان يراعى الله فى حق ماله ، ولا يتمسك منه بشىء ، ثم يمر حتى ينتهى إلى السماء الرابعة ، فيقرع الباب ، فيقال له من أنت ، فيقول كدأبه فى مقالته ، فيقال : أهلا بفلان كان يصوم فيحسن الصوم ويحفظه من أدران الرفث وحرام الطعام ، ثم ينتهى إلى السماء الخامسة فيقرع الباب ، فيقال من أنت ، فيقول كعادته ، فيقال أهلا وسهلا بفلان ، أدى حجة الله الواجبة من غير سمعة ولا رياء ، ثم ينتهى إلى السماء السادسة فيقرع الباب . فيقال من أنت ، فيقول الأمين كدأبه فى مقالته ، فيقال مرحبا بالرجل الصالح والنفس الطيبة ، كان كثير البر بوالديه ، ويفتح له الباب ، ثم يمر حتى ينتهى إلى السماء السابعة فيقرع الباب فيقال من أنت ؟ فيقول الأمين مقالته ، فيقال مرحبا بفلان كان كثير الاستغفار بالأسحار ويتصدق فى السر ويكفل الأيتام ، ثم يفتح فيمر حتى ينتهى إلى سرادقات الجلال ، فيقرع الباب فيقال له : من أنت ، فيقول الأمين مثل قوله ، فيقول أهلا وسهلا بالعبد الصالح والنفس الطيبة ، كان كثير الاستغفار ، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ويكرم المساكين ، ويمر الملأ من الملائكة كلهم يبشرونه بالخير ويصافحونه حتى ينتهى إلى سدرة المنتهى ، فيقرع الباب فيقال : من أنت ؟ فيقول الأمين كدأبه فى مقالته ، فيقول : أهلا وسهلا بفلان كان عمله عملا صالحا خالصا لوجه الله عز وجل ، ثم يفتح له فيمر فى بحر من نار ، ثم يمر فى بحر من نور ، ثم يمر فى بحر من ظلمة ، ثم يمر فى بحر من ماء ، ثم يمر فى بحر من ثلج ثم يمر فى بحر من برد ، طول كل بحر منها ألف عام ، ثم يخترق الحجب المضروبة على عرش الرحمن ، وهى ثمانون ألفا من السرادقات ، لها شراريف لكل سرادق ثمانون ألف شرافة على كل شرافة

ثمانون ألف ممر ، يهللون الله ويسبحونه ويقدسونه ، لو برز منها قمر واحد إلى سماء الدنيا لعبد من دون الله ولأحرقها نورا ، فحينئذ ينادى من الحضرة القدسية من وراء أولئك السرادقات ، من هذه النفس التى جئتم بها ، فيقال فلان بن فلان فيقول الجليل جل جلاله : قربوه فنعم العبد كنت يا عبدى ، فاذا أوقفه بين يديه الكريمتين أحجله ببعض اللوم والمعاتبة حتى يظن أنه قد هلك ثم يعفو عنه (١) .

ويورد القرطبي فى كتاب التذكرة كثيرا من أحوال الموتى بالمناحات ، وكذا الغزالى ، وليس المقام حجة للعلم أو للتشريع ، فاذا كان قد ثبت بالمنام أن أحد الناس فى الجنة ونعيمها ، فى الرأى ، إذ يقول هذا القول كثير من ذوى العقائد المختلفة الدينية الأرضية ، يقولون أنهم يرون موتاهم فى حدائق جميلة وفى جنات تجرى من تحتها الأنهار ، ويرى النصارى المسيح عليه السلام فى الرؤيا يبشرهم بالخلاص ويرى اليهود أنبياءهم أيضاً ، وكذا جميع الملل ، من الهندوس ، وعبدة البقر ، وذوى العقائد الفاسدة من الفرق التى خرجت على منهج الرسول صلى الله عليه وسلم ، يرون أيضا منامات غريبة . إنها ليست حجة ، لا يقينا ، ولا تشريعا ، ولها تأويل مخصوص يعرفه علماء النفس(٢) .

وإلا فلدى كتاب مترجم ترجمة الدكتور رضا رحمة الله عليه عن أولياء المسيحيين ، ومزاراتهم فى أوربا ، وفرنسا ، وإيطاليا ، وكراماتهم ومعجزاتهم ، تلك الخرافات التى رددها الأوربيون ، كما يرددها عندنا بعض الإخوان .

---

(١) هذه القصة الطويلة موجودة فى كتاب التذكرة للقرطبى ص ٧٩ ، وهى من خيال الكشف الباطنى الذى يؤمن به الغزالى ، وإلا فأين مصادرها من الحديث النبوى الصحيح ، أو من القرآن الكريم ؟ !

(٢) وقد قيدنا تأويل الرؤيا بكتاب الله الحكيم وبذلنا فيه جهداً كبيراً لتنقية الموضوع من الدجل والخرافات فى كتابنا (تأويل الرؤيا فى القرآن) .

ولدى كتاب أيضاً، فى رؤى، ذوى العقائد الأخرى ، وكانت لهم رؤى تتحقق كفلق الصبح ، وهم بعيدون عن الله سبحانه وتعالى . يرون فيها ، قديسيهم وأحبارهم وكهانهم الذين انتقلوا للعالم الآخر يبشرونهم ، ويبشرون من يموت منهم ، وآخرون يرون الملائكة جهارا ، وفى قصة جان دارك ، مثال لذلك ، مما يشجعنا على القول بأن ذلك راجع إلى اهتزاز فى الأعصاب فتصور صورا خياليا بما يشغل الأذهان فيحسبه الرائى حقيقة وما هو إلا خداع وسراب .

يقول القرطبى — رحمه الله — فى التذكرة ،أما الكافر فتؤخذ نفسه عنفا فإذا وجهه كآكل الحنظل والملك يقول : اخرجى أيتها النفس الخبيثة من الجسد الخبيث فإذا له صراخ أعظم ما يكون كصراخ الحمير ( هكذا قال ) فإذا قبضها عزرائيل ناولها زبانية قباح الوجوه ، سود الثياب منتنى الرائحة بأيديهم مسوح من شعر ، فيلقونها فيستحيل شخصا إنسانيا على قدر الجرادة فإن الكافر أعظم جرما من المؤمن ، يعنى فى الجسم فى الآخرة ، وفى الصحيح أن ضرس الكافر فى النار ، مثل أحد ، فيعرج به حتى ينتهى إلى سماء الدنيا ، فيقرع الأمين الباب ، فيقال من أنت ، فيقول : أنا دقيائيل لأن اسم الملك الموكل على زبانته العذاب دقيائيل ، فيقال من معك ، فيقول فلان بن فلان بأقبح أسمائه وأبغضها إليه فى دار الدنيا ، فيقال لا أهلا ولا سهلا ولا مرحب ( لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة ) فإذا سمع الأمين هذه المقالة طرحه من يده (أو تهوى به الريح فى مكان سحيق ) أى بعيد ، وهو قوله عز وجل ( ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق ) فإذا انتهى إلى الأرض ابتدرته الزبانية ، وسارت به إلى سجين ، وهى صخرة عظيمة تأوى إليها أرواح الفجار .

---

(١) راجع — إن شئت — كتابنا السابق ، وأرجو أن ترجع إلى كتاب (تفسير الأحلام) لسجموند فرويد .

هذا ما أورده القرطبي ، ونقول ، كما كان يقول هو ، محترسا فى أخباره ، الله أعلم ، الله أعلم ، فما بعد الموت غيب ، نؤمن به ، ولا نعلم ما فيه على سبيل اليقين .

أما المنافقون يردون ممقوتين ، مطرودين .

وأما المقصرون المؤمنون فتختلف أنواعهم ، فمنهم ترده صلاته ؛ لأن العبد إذا قصر فى صلاته سارقا لها تلف كما يلف الثوب الخلق ويضرب بها وجهه ثم يقول : ضيعك الله كما ضيعتنى ، ومنهم من ترده زكاته لأنه إنما يزكى ليقال فلان متصدق ومنهم من يرده صومه ، لأنه صام عن الطعام ولم يصم عن الرفث ، فيخرج الشهر لم يستفيد من صيامه شيئاً ، ومن الناس من ترده حجة ، لأنه حج ليقال فلان حج أو انفق مالا خبيثاً ومن الناس من رده العقوق ، وسائر أحوال البر كلها ، لا يعرفها إلا العلماء بأسرار المعاملات ، وتخليص العمل الذى للملك الوهاب ، فكل هذه المعانى جاءت بها الآثار والأخبار ، كالخبر الذى رواه معاذ بن جبل وغيره فى رد الأعمال وغيره . . الخ . .

## اختلاف الموتى عند تسليم الروح :

قال تعالى : « الذين تتوفاهم الملائكة طيبين»(١) ،وقال : « قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم(٢) » ، وقال : «توفته رسلنا وهم لايفرطون(٣)» ، وقال : « تتوفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم(٤) » فهذا كله مجمل ، وقد بينه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

---

(١) النحل ٣٢/١٦
(٢) السجدة ١١/٣٢
(٣) الأنعام ٦ / ٦١
(٤) النحل ٢٨/١٦

وقوله تعالى « ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم(١) »، وقال : « فكيف إذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم (٢) وهذا مخصوص بمن قتل من الكفار يوم بدر ( باتفاق أهل التأويل) فيما قاله بعض علمائنا، وقد ذكر المهدوى وغيره فى ذلك اختلافا، وإن الكفار عامة حتى الآن يتوفون بالضرب والهوان ، والله أعلم . .

وروى مسلم فى حديث فيه طول ، قال أبو زميل ، فحدثنى ابن عباس ، قال بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد فى أثر برجل من المشركين أمامه، إذا سمع ضربة بالسوط فوقه وصوت الفارس يقول : أقدم حيزوم إذ نظر إلى المشرك أمامه فخر مستلقياً ، فنظر إليه فإذا هو قد خطم أنفه وشق وجهه لضربة السوط فاخضر ذلك أجمع فجاء الأنصارى فحدث بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صدقت ذلك من مدد السماء الثانية فقتلوا سبعين وأسروا سبعين ، وذكر الحديث .

وقال تعالى ( ولو ترى إذ الظالمون فى غمرات الملك والملائكة باسطوا أيديهم(٣) ) أى بالعذاب .

وسؤال يقول : كيف الجمع بين هذه الآية وكيف يقبض ملك الموت فى زمن واحد أرواح من يموت بالشرق والمغرب ،

والجواب : تارة يضاف إلى ملك الموت لمباشرته ذلك وتارة إلى أعوانه من الملائكة لأنهم قد يتولون ذلك أيضاً ، وتارة إلى الله تعالى ، وهو المتوفى على الحقيقة . كما قال عز وجل « الله يتوفى الأنفس حين موتها(٤) » ، وقال : « هو الذى أحياكم ثم يميتكم(٥) » ، وقال : « الذى خلق الموت والحياة

(١) الأنفال ٨ / ٥٠

(٢) محمد ٢٧/٤٧

(٣) الأنعام ٦ / ٩٣

(٤) الزمر ٤٢/٣٩

(٥) الحج ٦٦/٢٢

ليبلوكم أيكم أحسن عملا(١)» فكم مأمور من الملائكة ـ فانما يفعل ما يفعل بأمرة . .

وفى حديث البراء ، أن ملك الموت يقبض الروح من الجسد ، ثم يسلمها إلى ملائكة الرحمة ، إن كان مؤمناً ، وإلى ملائكة العذاب إن كان كافرا .

وفى خبر الإسراء عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : مررت على ملك آخر جالس على كرسى ، إذا جميع الدنيا ومن فيها بين ركبتيه وبيده لوح مكتوب ينظر فيه ، لا يلتفت يميناً ولا شمالا ، فقلت ياجبريل من هذا . قال هذا ملك الموت ، فقلت ياملك الروح كيف تقدر على قبض جميع أرواح من فى الأرض برها وبحرها ، قال : ألا ترى أن الدنيا كلها بين ركبتى ، وجميع الخلائق بين عينى ويداى تبلغان المشرق ، والمغرب ، فإذا انفذ أجل عبد نظرت إليه ، فإذا نظرت إليه عرف أعوانى من الملائكة أنه مقبوض ، فغدوا فبطشوا به يعالجون نزع روحه ، فإذا بلغوا بالروح الحلقوم علمت ذلك فلم يخف على شىء عن أمره ، مددت يدى فأنزعه من جسده وإلى قبضه .

**الروح يتبعها البصر عند الموت :**

روى ابن ماجة : عن أم سلمة قالت : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبى سلمة وقد شق بصره فأغمضه ثم قال : إن الروح إذا قبض تبعه البصر ، ( خرجه مسلم ) وفى غير الصحيح ـ .

أن الميت أول ما يشق بصره لرؤية المعراج وهو سلم بين السماء والأرض من زمردة خضراء أحسن مارئ قط ، فذلك حين يمد بصره إليه . .

---

(٣) الملك ٦٧/٢

وبعد فإن الغرض من هذا الباب تنبيه العبد على التيقظ للموت والاستعداد له بحسن الطاعة والخروج عن المظلمة ، وقضاء الدين ، وإتيان الوصية بما له أو عليه في الحضر .

* * *

**بدع يجب تركها فعلا :**

مثل قراءة البردة ، إنها اختراع اخترعه فقراء الزمن لجهلهم بما كان عليه الرسول وصحبه ولا السلف الصالح ، علاوة على ما فى البردة من خروج عن الجادة ، لقوله فى مدح الرسول .

فإن من جودك الدنيا وضرتهـــا ومن علومك علم اللـــوح والقلم

والأولى فعل ما كان عليه السلف الصالح ، وجاء فى كتاب البدع فى الشريعة : للشيخ محمود أحمد خطاب السبكى ، ص ٣٥ فتوى للشيخ سليم البشرى ، وافقه عليها أرباب المذاهب ونص جوابه :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وتابعيه وحزبه ، ما جرت عليه عادة الناس من سيرهم بالبيارق أمام الجنازة أو معها بدعة سيئة إذ لم تشرع الرايات ألا فى الحروب ، وضربهم الطبل أو الكاس أو الباز ممنوع وقراءتهم البردة ونحوها من الأوراد ، مع الجنازة حدث فى الدين ومخالفة لسنة السلف الصالح قال صاحب المدخل وليحذر من هذه البـــدعة التى يفعلها أكثرهم هو أنهم يأتون بجماعة الناس يسمونهم بالفقراء الذاكرين يذكرون أمام الجنازة جماعة على صوت واحد ويتصنعون فى ذكرهم ويتكلفون فيه على طرق مختلفة ، وكل طائفة لها طريقة فى الذكر وعادة تختص بها ، ثم قال ، وهذا وما شاكله ضد ما كانت عليه جنائز السلف رضى الله عنهم لأن جنائزهم كانت على التزام الأدب والسكون والخشوع والتضرع حتى أن صاحب المصيبة لا يعرف من

بينهم لكثرة حزن الجميع ، والمطلب فى الجنازة الا يزيد على السلام الشرعى حتى إنه قيل أن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه سمع قائلا فى أحدى الجنازات استغفروا لأخيكم ، فقال لا غفر الله لك ، هذا كان يحفظ الصحابة على السنة ، ومن البدع وقوفهم بعد الدفن صفين ومصافحة ولى الميت هم يميناً وشمالا مارا بينهم خلاف أدب التعزية والأدب منها على ما نقله علماؤنا يكون عند رجوع اهل الميت إلى بيته بعد الدفن ، وقد أنكر النبى صلى الله عليه وسلم على من يرفع صوته بالذكر ، فقالى أربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائباً . رواه البخارى ومسلم واوو داود .

وسنة المصافحة تكون للمتلاقين ، لا للحاضرين ، والطريق إلى الله سبحانه وتعالى هى متابعة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وما سوى ذلك ضلال .

والسنة فى تشييع الجنازة التى كان عليها النبى صلى الله عليه وسلم ، والسلف الصالح فهى أن يمشوا معها حتى تدفن ، وألا يتكلم أحد مع أحد بكلام لا خير فيه لأن الكلام فى هذا المحل لغير ضرورة شرعة بدعة شنيعة ، لأنهم ذاهبون للشفاعة يرجون قبولها ، فينبغىأن يستغلوا بما هم إليه صائرون ، وأن يكون كل واحد منهم مشتغلا فى نفسه بالاعتبار والدعاء للميت ولنفسه وللمسلمين .

**الحديث الشريف :**

إذا مات الإنسان انقطع عمله ألا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له .

وقوله تعالى : « وأن ليس للإنسان إلا ما سعى » ، قال الإمام القرطبى اختلف فى تأويلها أهل التأويل ( التفسير )

فروى عن ابن عباس أنها منسوخة ( التذكرة ص ١٠٧ ) بقوله تعالى

« والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم(١) »، قال: فيجعل الولد الطفل يوم القيامة في ميزان أبيه ويشفع الله تعالى الآباء في الأبناء والأبناء في الآباء .

وقال الربيع بن أنس إن هذه الآية للكافر ، أما المؤمن فله ما سعى ، وما سعى غيره له .

يقول القرطبي ، وكثير من الأحاديث تدل على هذا القول ، ويشهد له أن المؤمن يصل إليه توا العمل الصالح من غيره كالدعاء .

وفى الصحيح من مات وعليه صيام ، صام عنه وليه ، وقال عليه السلام للرجل الذى حج عن غيره قبل أن يحج عن نفسه ، ( حج عن نفسك ، ثم حج عن شبرمه ) .

وفى الموطأ عن عبد الله بن أبى بكر عن عمته أنها خدمته عن جديه أنها جعلت على نفسها مشياً إلى مسجد قباء ، فأتت ، ولم تعضهفأفتى عبد الله ابن عباس ابنتها أن تمشى عنها .

ويقول القرطبى فى التذكرة ص ١٠٨ — ويحتمل أن يكون قوله تعالى ( وأن ليس للإنسان إلا ما سعى ) خاصاً فى السيئة ، بدليل ما فى صحيح مسلم ، عن أبى هريرة ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : قال الله عز وجل ( إذا هم عبدى بحسنة ولم يعملها ، كتبت له حسنة ، فإن عملها كتبت له عشراً إلى سبعمائة ضعف ، وإذا هم بسيئة ولم يعملها ، لم أكتب عليه ، فإن عملها كتبتها سيئة،واحدة )(٢) والقرآن دال على هذا، قال الله تعالى ( من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ) . وقال تعالى ( مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف

---

(١) الطور ٥٢ / ٢١

(٢) حديث قدسى عن رب العزة .

لمن يشاء ) . وقال : ( من ذا الذى يقرض الله قرضاً حسنا فيضاعفه أضعافاً كثيرة ، وهذا كله لفضل من الله تعالى ، إن ليس للإنسان إلا ما سعى ، ألا إن الله عز وجل يتفضل عليه بما لم يحب له وفضل الله واسع ، وقد تفضل على الأفعال فأدخلهم الجنة بغير عمل . . فما ظنك بعمل المؤمن عن نفسه أو غيره .

**ما يتبع الميت إلى قبره ، وبعد موته ، وما يبقى معه فيه :**

الحديث الشريف ( يتبع الميت ثلاث فيرجع إثنان ويبقى واحد ، يتبعه أهله وماله وعمله فيرجع أهله وماله ويبقى عمله .

وروى أبو نعيم ( وهو حديث غريب ) عن قتاده عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ( ( سبع يجرى أجرها للعبد بعد موته وهو فى قبره : من علم علماً أو أجرى نهراً أو حفر بئراً ، أو غرس نخلا ، أو بنى مسجداً ، أو درس مصحفاً ، أو ترك ولداً يستغفر له بعد موته .

وذكر القرطبي فى التذكرة عدة منامات عن أحوال الموتى ، لا نأخذ بها ، فإن هذه المنامات ، وفيها بشارات طيبة تحدث لكثير من ذوى الملل المختلفة ، والأديان المتضادة ، الوثنية منها والأرمنية فلا نأخذ ها حجة للتشريع (١) — كما سبق أن وضحت ذلك .

**القبر : أول منزل من منازل الآخرة :**

يقال أن عثمان رضى الله عنه إذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحيته ، فقيل له تذكر الجنة والنار ولا تبكى وتبكى من هذا . قال : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أن القبر أول منازل الآخرة ، فإن نجا منه أحد فما بعده أيسر منه وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه .

---

(١) ولايمنع — فى رأينا — أن نأخذ بها فى الإستبشار بالأعمال الصالحة ولكن ألا نأخذ بها فى مقام التشريع أو التطبيق . والله أعلم .

وأول من سن الضر قابيل بن آدم عليه السلام — كما جاء فى الآية الشريفة ( فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين ، فبعث الله غراباً يبحث فى الأرض ليريه كيف يوارى سوءة أخيه ، قال ياويلتى أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأوارى سوأة أخى فأصبح من النادمين )

ولم تكن الندامة على قتله ، بل على حيرته فى دفنه ، يقال إنه كما قتله قعد يبكى عند رأسه ، إذ أقبل غرابان فاقتتلا فقتل أحدهما الآخر ، ثم حفر له حفرة فدفنه فيها ، ففعل القاتل بأخيه هكذا ، فبقى ذلك سنة لازمة فى بنى آدم ، وفى التنزيل ( ثم أماته فأقبره ) أى جعل له قبراً يوارى فيه إكراماً له ولم يجعله على وجه الأرض تتأكله الطير والعوافى

وحكم القبر أن يكون مرفوعاً على وجه الأرض قليلا غير مبنى بالطين والحجارة والحصى ، فإن ذلك منهى عنه .

وفى صحيح مسلم ( نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجصص القبر وأن يقعد عليه وأن يبنى عليه ) .

وفى الترمذى ، قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تجصص القبور وأن يكتب عليها وأن يبنى عليها وأن توطأ ( حديث صحيح ) .

**ولا يزين القبر ، إنما يزين الميت عمله :**

وفى صحيح مسلم عن أبى الهياج الأسدى قال : قال على ابن أبى طالب رضى الله عنه ، ألا أبعثك على ما بعثنى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ألا تدع تمثالا إلا طمسته ، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته ، (١)

---

(١) لعل فى ذلك عبرة لأصحاب الاعتكاف حول القبور المسنمة ، الذين يسمونها المشاهد والأضرحة . . هدانا الله وإياهم أجمعين سواء السبيل .

وروى — فى المراسيل — رأيت قبر النبي صلى الله عليه وسلم شبراً أو نحو شبر يعنى فى الارتفاع (١) .

ورحم الله الشاعر القائل يتهم الذين يعلون قبور موتاهم . .

| | |
|---|---|
| أرى أهل القصور إذا أميتوا | بنوا فوق المقابر بالصخور |
| أبوا إلا مباهاة وفخـــــــراً | على الفقراء حتى فى القبور |
| لعمرك لو كشفت الترب عنهم | فما تدرى الغنى من الفقـــير |
| ولا الجلد المباشر ثوب صوف | من الجلد المباشر للحـــــرير |
| إذا أكل الثرى هـــذا وهـــذا | فما فصل الغنى على الفقير ؟ |

* * *

وبعد أن ذكر القرطبي فى التذكرة ص ١٢٠ مواضع أتى فيها أخبار وحكم وأقوال بعضها تسب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم بتفضيلها فى الدفن ، وأن الذى يدفن فيها يرحم من العذاب ويشفع له يوم القيامة ، قال ص ١٢١ « « فصل » قال علماؤنا رحمة الله عليهم ، البقاع لا تقدس احداً ولا تطهره ، إنما الذى يقدسه من وضر الذنب ودنسها التوبة النصوح والأعمال الصالحة ، وقد روى مالك ، عن هشام بن عروة عن أبيه قال : ما أحب أن أدفن بالبقيع ، لأن أدفن فى غيره أحب إلى ، ثم بين العلة فقال : مخافة أن تنبش لى عظام رجل صالح ، أو تجاور فاجراً . .

فدل على أن الدفن بالأرض المقدسة ليس بالمجمع عليه ، وقد يستحسن الإنسان دفنه بموضع قرابته ، وإخوانه ، وجيرانه ، لا يفضل ولا لدرجة . إنما هو نوع من الحب للأهل وللجيران .

**ماذا فى القبور ؟ :**

يقول الفلاسفة الملحدون منهم إن الموت هو العدم ، وأنه لا حشر ولا

---

(١) مرسل لا يحتج به .

نشر ، ولا عاقبة للشر ولا للخير ، وإن موت الإنسان كموت الحيوان ، وجفاف النبات .

هذا رأى بعض الفلاسفة قديماً ، والدهريين ، ومن انتهج نهجهم من الشيوعيين ، والوجودين وعباد المادة ، وصرعاء الشهوات .

وقوم آخرون ، فى حاجة إلى الهداية بالقرآن الكريم وبالسنة النبوية قالوا : إن الإنسان ينعدم بالموت ، ولا يتألم بعقاب ، ولا يتنعم بثواب ما دام فى القبر ، إلى أن يعاد فى وقت الحشر .

وقوم آخرون : قالوا : أن الروح باقية لا تنعدم بالموت ، وإنما المثاب والمعاقب هى الأرواح دون الأجساد ، وأن الأجساد لا تبعث ولا تحشر أصلا . .

كل هذه آراء نتيجة ظنون فاسدة ، لا دليل عليها ، يقيم حجتها .

والحجة القوية ، المؤيدة من الناحية العقلية ، والأدلة النقلية ، أن الموت تغير حال فقط ، وأن الروح باقية بعد الموت ، وبعد فناء الجسد ، وهلكته فى القبر ، إما معذبة ، وإما منعمة ، كأنها تلاقى بعض جزاء أعمالها فى الدنيا ، قبل حسابها يوم الحشر ، والمعروف إن الروح ، لا تبطش بذاتها ، ولا ترى بذاتها ، ولا تسمع بذاتها ، فلا بد لها من أعضاء تحركها وتدربها ، قال تعالى فى سورة النحل آية ٧٧ ( والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون ) ومعروف أن الطفل يولد وبه الروح ، ولكن الروح لا تجد آلاتها لتقوم بعملها ، أو تكون آلاتها ضعيفة كما هى فى الوليد ، أو معدومة أصلا ، أو معدوم بعضها ، كالأعمى والأصم ، والأشل ، والأبكم ، فإن وجود الروح فى جسم الإنسان مع ضعف آلات الحياة ، لا تقيم فى الجسم ، عيناً ، ولا أذنا ، ولا رجلا ، ولا لساناً ، من ذاتيتها ؟

أما بعد الموت ، فتختلف هذه الحالة ، وهى حالة غيبيه لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى ، أما ما يقوله الغزالى (١) من أن المقصود بالروح هنا القلب ، وكل ما هو وصف للروح بنفسها فيبقى معها بعد مفارقة الجسد ، وما هو بواسطة الأعضاء فيتعطل بموت الجسد إلى أن تعاد الروح إلى الجسد .

ونلاحظ أن الأقدمين من المفسرين ، والفلاسفة ، وعلماء النفس يكنون عن النفس « بالقلب » كما جاء فى قوله تعالى فى سورة الأعراف ١٧٨ ( ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم أعين لا يبصرون بها ، ولهم أذان لا يسمعون بها ، أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون ) .

وهناك أقوال أخرى ، من أن الروح تعاد إلى الجسم ( أو ما تبقى منه ، ولو كان ذرة صغيرة ليلاقى الميت بعض الآلام ، أو يحس بالنعيم ، وتعطى هذه الذرة التى لا ترى جميع مقومات الحياة ، فيشعر فى قبره بما سيلاقيه يوم القيامة ، أو تكون عليه بعض الذنوب ، لم تكفرها أعماله فى الدنيا ، ولا مصائبه ، ولا بلاؤه ، ولا شدة سكرات الموت ، ولا دعاء ولده له ، فيكفرها العذاب فى القبر هذا إذا كان مؤمناً حقاً ، أما الكافر والمشرك والمرتد والملحد وكل هؤلاء الذين سبقت لهم الشقاوة ، فتخبط أعمالهم ، فقد قامت عليهم الحجة فى حياتهم ، فماطلوا فى باطلهم ، وعلوا واستكبروا استكباراً .

هذه الحياة البرزخية من الصعب الوصول إلى كونها وماهيتها ، فنحن نؤمن بها إيماناً بالغيب ، وإيماناً بأن كل ما أتى به الصادق المصدوق حقاً كل من عند ربنا ، وليس من عدالة المرء أن يحيط علماً بأشياء ليست من اختصاص عقله ، فهذا غيب ، والغيب يترك لله ، فنصدقه ، ونؤمن به .

---

(١) راجع إحياء علوم الدين (٤/ ٤١٨) طبعة على صبيح .

قلنا ، إن تعطل الجسد بالموت ، يضاهي تعطل أعضاء الزمن (١) ( تشديد الزاى ، وكسر الميم ) وذلك بفساد أعضائه وأخرجتها ، وبشدة تقع فى الأعصاب ، وتمنع سيرها فتمتنع الروح لامتناعها ، والمقصود بالروح هنا ، النفس المعنى الذى يدرك العلوم وآلام الغموم ، ولذات الأفراح فالمشاهد أن الزمن إذا فقد إحساس الأعضاء قد لا يفقد الإحساس بالألم والسعادة ، والفرح والترح ، والغضب والرضا والبشر والبسر ، أى أن الروح إذا بطل تصرفها فى الأعضاء فلن نبطل تصرفها فى المدركات من العلوم والإحساسات بالأفراح والغموم ولا يبطل قبولها للآم واللذات والإنسان بالحقيقة . هو المعنى المدرك للعلوم وللآلام واللذات ، وذلك لا يموت أى لا ينعدم ومعنى الموت يقرب من معنى « الزمانة » فالموت انقطاع تصرف الروح عن البدن والزمانة خروج أى عضو عن أن يكون خاضعاً للروح ، إن الموت زمانة مطلقة فى الأعضاء كلها وحقيقة الإنسان ، نفسه وروحه بالية هما باقيتان بعد تغير حاله وهلكه جسمه ، ومعنى الموت ، سلب الإنسان عن أحواله بإزعاجه إلى عالم آخر لا يناسب هذا العالم ، فإن كان له فى الدنيا شىء يأنس به ، ويستريح إليه ويعتد بوجوده فيعظمه تحسره عليه بعد الموت ، ويصعب شقاؤه فى مفارقته بل يلتفت إلى ما فى هذه الدنيا فيشغل باله عليه عند الموت فإن كان لم يكن يفرح إلا بذكر الله ، ولم يأنس إلا بالله ، ولم يقنط من رحمته ، وقدم عملا صالحاً ينطبق على قول الله تعالى فى سورة النحل آية ٣٩ ( وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم ، قالوا خيراً(٢)للذين أحسنوا فى هذه الدنيا حسنة ولدار الآخرة خير ولنعم دار المتقين ، جنات عدن يدخلونها تجرى من تحتها الأنهار لهم فيها ما يشاءون كذلك يجزى الله المتقين ، الذين تتوفاهم الملائكة طيبين ، يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون ) فمثل هؤلاء كانوا لا يفرحون ألا الله

---

(١) المريض الذى لا يتحرك .

(٢) وفى هذه الآية نرى أنهم مؤمنون لقولهم خيراً أى أنزل ربنا خيراً وهذا يقين ، وحق عرفوه رضى الله عنهم ورضوا عنه .

ولا يحزنون إلا لله ، ولا يغضبون ألا لله ، فهم ربانيون ، فتمت سعادة الواحد منهم بالموت ، إذ خلى بينه وبين محبوبه وقطعت عنه العوائق والشواغل إذ أن الدنيا كانت شاغله له ، فتنته بزينتها وشهواتها وحلوها ومرها فينكشف له بالموت ما لم يكن مكشوفاً له فى الحياة ، والناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا . .

وهذا الكشف حق للبار والفاجر فينكشف ما يضر وما ينفع ، من حسناته وسيئاته وقد كان ذلك مسطوراً فى كتاب مطوى فى سر قلبه وكان يشغله عن الاطلاع عليه شواغل الدنيا فإذا انقطعت الشواغل انكشف له جميع أعماله فلا ينظر إلى سيئة إلا ويتحسر على فعلها تحسراً يؤثر أن يخوض غمرة النار للخلاص من تلك الحسرة وعند ذلك يقال له كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً ، وينكشف له ذلك عند انقطاع النفس وقبل الدفن ، وتشتعل فى قلبه نار الفراق ، فراق الدنيا ولذاتها وما كان يطمئن إليه منها ، وهذه الحسرات أنواع من العذاب والآلام العظيمة تهجم عليه قبل الدفن ، ثم عند الدفن قد ترد روحه إلى الجسد لنوع آخر من العذاب ،وقد يعفى عنه والله أعلم.

وعند هذه الآونة التى تأتى بغتة تعرض على الميت حياته الماضية كأنها شريط سينمائى سريع قد دونت فيها وصورت جميع فواحشه وجناياته ذرة ذرة ، وخطوة خطوة وما بالنا بالفجار ، وما أكثرهم ، والمشركون ، والمبتدعون ، وأرباب الفسق ، وإشاعة الفواحش المستترون تحت كلمة « الفن » والوثنيون المستترون تحت ألقاب دينية ، تأخذ بالبصيرة ، وهم عن التوحيد بعيدون .

إن آيات القرآن الكريم ، والسنة الصحيحة والحسنة تشهد بذلك ، فما ورد فى الشهداء إذ قال الله تعالى « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما أتاهم الله من فضله ) ولما قتل صناديد قريش يوم بدر ناداهم الرسول صلى الله عليه وسلم فقال يا فلان بن فلان يافلان ابن فلان. قد وجدت ما وعدنى ربى حقاً ، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً؟

(١) رواه الترمذى .

ولا يخلوا الميت من سعادة أو شقاوة ، والقبر حفرة من حفر النار ، أو روضة من رياض الجنة وهذا نص صريح على أن الموت تغير حال فقط ، وإن ما يكون من شقاوة الميت وسعادته يتعجل عند الموت من غير تأخر ، وإنما يتأخر بعض أنواع العذاب والثواب .

قال عليه الصلاة والسلام إذا مات أحدكم عرض عليه مقعده غدوة وعشية إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة . وإن كان من أهل النار فمن أهل النار ، ويقال هذا مقعدك حتى تبعث إليه يوم القيامة ، أى أن الإنسان ساعة الموت يعرف مصيره ، كما يعرف الممتحن مصيره تقريباً عندما يمسك بيده أسئلة الامتحان .

وقال أحد الصالحين السابقين ما غبطت أحداً ما غبطت مؤمناً فى اللحد قد استراح من نصب الدنيا وأمن من عذاب الله ، وقال فيلسوف آخر ، بعد أن سئل ما تحب لمن تحب ؟ قال الموت ، لأن المؤمن لا يحب إلا الموت ، والموت إطلاق المؤمنين من السجن ، فسبحان الله .

وقال آخر : إنما مثل المؤمن حين تخرج نفسه مثل رجل بات فى سجن فأخرج منه يتفسح فى الأرض ويتقلب فيها ، وحال هذا أو غيره من تجافى عن الدنيا وتبرم بها ، بما فيها من فتن وشهوات ضالة ، وعقائد فاسدة ، واستمسك بحبل الله المتين ، واعتصم به ، وأوذى فى سبيل الله ، كما أوذى الأئمة العلماء كأبى حنيفة وابن حنبل ، وسعيد بن جبير ، وابن تيمية ، وغيرهم من المحدثين مثل جمال الدين الأفغانى ، وعمر المختار ، وعبد الكريم الخطابى ، هؤلاء الذين آثروا ما عند الله على ما عند الطغاة والطغام من جبابرة هذه الحياة الذين أرادوا أن يقنصوهم إلى جانبهم ، فلم يركنوا إلا إلى جنب الله تعالى . . فصبروا بعد أن أوذوا أو قتلوا فكان فى الموت خلاصهم من جميع المؤذيات ، فقد أنسوا بربهم ، وما أجدرهم بنعيم الأنس بالى ، الذى أعطاهم ما لاعين رأت ، ولا أذن سمعت

ولاخطر على قلب بشر، هؤلاء الشهداء لم تفتنهم الدنيا، شوقاً إلى الله ، راضين بالعذاب والقتل فى سبيله ، وفى كل زمان ومكان تجد هذا الصنف من الشهداء ، فلا تخلوا الأرض من قائم بالحق ، وقاتل بالعدل ، وجسور لا يهاب إلا الله ، هذا النعيم العظيم يدركه الشهيد لما أنقطع نفسه بدون تأخير فالأيات القرآنية تدل عليه ، والأحاديث الصحيحة والحسنة .

فقد روى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجابر ألا أبشرك ياجابر ، وكان قد استشهد أبوه يوم أحد فقال بلى ، بشرك الله بالخير ، فقال إن الله عز وجل قد أحيا أباك وأقعده بين يديه ، وقال تمن على عبدى ما شئت أعطيكه فقال يارب ما عبدتك حق عبادتك أتمنى عليك أن تردنى فى الدنيا فأقاتل مع نبيك فأقتل فيك مرة أخرى ، قال له قد سبق منى أنك إليها لا ترجع (١)

إن المؤمن ( الصالح ) ينكشف له عقب الموت من سعة جلال الله . ما تكون الدنيا بالإضافة إليه كالسجن ، ويكون مثاله كالمحبوس فى بيت مظلم فتح له باب إلى بستان واسع الاكناف لا يبلغ طرفه أقصاه فيه أنواع الأشجار ، والأزهار ، والثمار ، والطيور فلا يشتهى العود إلى السجن المظلم ، أما الكافر المشرك والفاسق ، وما فى معناهم فيقول عندما يشاهد اليقين (رب إرجعون لعلى أعمل صالحاً فيما تركت )(٢) وهيهات هيهات أن يجاب إلى ما يطلب .

ومن الأحاديث المرسلة التى تنسب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم قوله ( إن مثل المؤمن فى الدنيا كمثل الجنين فى بطن امه إذا خرج من بطنها

---

(١) هذا الحديث رواه ابن أبى الدنيا فى الموت بإسناد ضعيف ، وحسنه الترمذى وابن ماجه راجع الحافظ العراقى على أحياء العلوم الدين للغزالى ( ٤/٤٢٢ ) .

(٢) المؤمنون ٢٣/١٠٠

بكى على مخرجه حتى إذا رأى الضوء ، ووضع لم يحب أن يرجع إلى مكانه وكذلك المؤمن يجزع من الموت فإذا أفضى إلى ربه لم يحب أن يرجع إلى الدنيا كما لا يحب الجنين أن يرجع إلى بطن أمه .

وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم إن فلاناً قد مات ، فقال مستريح أو مستراح منه ، أشار بالمستريح إلى المؤمن وبالمستراح منه الفاجر ، إذا يستريح أهل الدنيا منه ، ومر أحد فلاسفة المسلمين على قبر فنظر فوجد جمجمة بادية ، فأمر رجلا فوارها ، ثم قال إن هذه الأبدان ليس يضرها هذا الثرى شيئاً ، وإنما الأرواح التي تعاقب وتثاب إلى يوم القيامة . . .

• • •

## عذاب القبر
## وسؤال منكر ونكير

قال البراء بن عازب ، خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جنازة رجل من الأنصار فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم على قبره منكسا رأسه ثم قال اللهم إنى أعوذ بك من عذاب القبر ثلاث ثم قال إن المؤمن إذا كان فى قبل من الآخرة بعث الله ملائكة كأن وجوههم الشمس معهم حنوطه وكفنه فيجلسون مد بصره فإذا خرجت روحه صلى عليه كل ملك بين السماء والأرض ، وكل ملك فى السماء ، وفتحت أبواب السماء ، فليس منها باب إلا يحب أن يدخل بروحه منه ، فإذا صعد بروحه ، قيل أى رب عبدك فلان ، فيقول أرجعوه فأروه ما أعددت له من الكرامة فإنى وعدته منها خلقناكم وفيها نعيدكم الآية ، وإنه ليسمع خفق نعالهم إذا ولوا مدبرين حتى يقال يا هذا ما ربك وما دينك ، ومن نبيك فيقول ربى الله ودينى الإسلام ونبيي محمد صلى الله عليه وسلم ، قال فينتهرانه انتهارا شديدا ، وهى آخر فتنة تعرض على الميت ، فإذا قال ذلك نادى مناد أن قد صدقت ، وهى معنى قوله تعالى ( يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت ) . الآية ثم يأتيه آت حسن الوجه طيب الريح حسن الثياب ، فيقول أبشر برحمة ربك ، وجنات فيها نعيم مقيم ، فيقول وأنت فبشرك الله بخير من أنت ، فيقول أنا عملك الصالح ، والله ما علمت إن كنت لسريعا إلى طاعة الله بطيئا عن معصيته ، فجزاك الله خيرا ،

قال ، ثم ينادى مناد أن افرشوا له من فرش الجنة وافتحوا له بابا إلى الجنة ، فيفرش له من فرش الجنة ، ويفتح له باب إلى الجنة ، فيقول اللهم عجل قيام الساعة ، حتى ارجع إلى أهلى ومالى . قال ، وأما الكافر ، فإنه إذا كان فى قبل من الآخرة وانقطاع من الدنيا نزلت إليه ملائكة غلاظ شداد ، معهم ثياب من نار ، وسرابيل من قطران فيحتوشونه ، فإذا خرجت نفسه كل ملك بين السماء والأرض ، وكل ملك فى السماء ، وغلقت أبواب السماء ، فليس منها باب إلا يكره أن يدخل بروحه منه ، فإذا صعد بروحه نبذ ، وقيل أى رب عبدك فلان لم تقبله سماء ، ولا أرض فيقول الله عز وجل أرجعوه فأروه ما أعددت له من الشر ، إنى وعدته ( منها خلقناكم وفيها نعيدكم . الآية ( . وإنه ليسمع خفق نعالهم ، إذا ولوا مدبرين حتى يقال يا هذا من ربك ومن نبيك وما دينك ، فيقول لا أدرى ، فيقال لا دريت ، ثم يأتيه آت قبيح الوجه وقبيح الثياب منتن الريح ، فيقال له أبشر بسخط من الله وبعذاب أليم مقيم فيقول بشرك الله بشر من أنت فيقول أنا عملك الخبيث . . الخ (١) .

ومن طريق آخر ، فى المعنى ذاتها ، حديث أبى هريرة قوله صلى الله عليه وسلم ، إن المؤمن إذا احتضر أتته الملائكة بحريرة فيها مسك وضبائر الريحان فتسل روحه كما تسل الشعرة من العجين ، ويقال ، أيتها النفس المطمئنة أخرجى راضية مرضية . . الخ (٢) .

وحديث المؤمن فى قبره فى روضة خضراء ويرحب له فى قبره سبعون ذراعا ويضىء حتى يكون كالقمر ليلة البدر ، هل تدرون فيما أنزلت

(١) حديث البراء بن عازب ، أبو داود ، والحاكم ، وصعفه ابن حبان ، ورواه النسائى وابن ماجة مختصرا ( راجع ص ٤٢٤ جزء — ٤ أحياء علوم الدين للغزالى ) حاشيته الحافظ العرقى .. وراجع أيضاً الروح لابن القيم ص ٦٣ مع اختلاف اللفظ وصححه الشيخ الألبانى.

(٢) ابن أبى الدنيا ، وابن حبان ، والبزار « حاشيته الحافظ العراقى على الغزالى (٤ / ٤٢٤)

فإن له معيشة ضنكا » قالوا الله ورسوله أعلم قال عذاب الكافر فى قبره يسلط عليه تسعة وتسعون تنينا ، هل تدرون ما التنين تسعة وتسعون حية لكل حية سبعة رءوس يخدشونه ويلحسونه وينفخون فى جسمه إلى يوم يبعثون (١) .

ويفسر الغزالى ، أعداد الحيات والعقارب بعدد الأخلاق المذمومة من الكبر والرياء والحسد والغل والحقد وسائر الصفات ، فإن لها أصولا معدودة ثم تتشعب منها فروع معدودة ثم تنقسم فروعها إلى أقسام ، وتلك الصفات بأعيانها هى المهلكات تنقلب عقارب وحيات . . الخ .

هذه الأمور لا تشاهد ، ولكننا نؤمن بعذاب القبر ، ونعيم القبر ، وكل ما يتعلق بأمور الآخرة ، فهو من عالم الملكوت ( الغيب ) أما ترى الصحابة رضى الله عنهم كيف كانوا يؤمنون بنزول جبريل وما كانوا يشاهدونه ، ويؤمن بأن النبى صلى الله عليه وسلم كان يشاهده ، وما دمنا قد جوزنا أن يشاهد النبى مالا تشاهد أمته ، فكيف لا يجوز هذا فى الميت ، وكما أن الملك لا يشبه الآدميين والحيوانات ، فالحيات والعقارب التى تلدغ فى القبر ليست من جنس حيات عالمنا ، بل هى جنس آخر تدرك بحاسة أخرى ليست لدينا وهذه من رحمة الله بنا سبحانه وتعالى .

ونحن نشاهد النائم يغط فى نومه ، وربما أنه يرى فى نومه حية تلدغه وهو يتألم بذلك ونحن لا نشعر ، ونرى ظاهره ساكنا ، وربما كان يصرخ فى نومه من ألم لدغ الحية ، فالحية موجودة فى حفر ، والألم والصراخ كائنان فى ذاته ، ونحن نقول « أنه نائم » .

---

(١) رواه ابن حبان .

أى أن صفاته المرذولة انقلبت إلا ما عليه بعد الموت تلدغ كما يلدغ الحيات من غير وجود حيات ، هذا حال من قبره حفرة من حفر جهنم .

أما من لم يأنس إلى الحياة الدنيا ، ولم يحب إلا الله ، وكان مشتاقا إلى لقاء الله فقد تخلص من سجن الدنيا ، ومقاساة الشهوات فيها ، وقدم على محبوبه ، وانقطعت عنه العوائق والصوارف ، وتوفر عليه النعيم مع الأمن من الزوال أبد الآباد لمثل ذلك فليعمل العاملون

# سؤال منكر ونكير وضغطه على القبر

الحديث الذى أثبته الترمذى وابن حبان ( إذا مات العبد أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما منكر وللآخر نكير ، فيقولان ما كنت تقول فى النبي ، فإن كان مؤمنا قال هو عبد الله ورسوله ، أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمدا رسول الله ، فيقولان إن كنا لنعلم أنك أنك تقول ذلك ، ثم يفسح له فى قبره سبعون ذراعا فى سبعين ذراعا وينور له فى قبره ، ثم يقال له نم فيقول دعونى أرجع إلى أهلى فأخبرهم فيقال له نم فينام كنومة العروس الذى لا يوقظه إلا أحب أهله إليه حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك ، وإن كان منافقا قال لا أدرى كنت أسمع الناس يقولون شيئاً ، وكنت أقوله فيقولان له أن كنا نعلم ذلك إنك تقول ذلك ، ثم يقال للأرض التئمى عليه فتلتئم عليه حتى تختلف فيها أضلاعه فلا يعذب حتى يبعثه الله من مضجعه . .

وللقبر ضغطة عند ورود الميت إليه ( لا نعلم حقيقتها ) وفى الحديث الشريف الذى روته عائشة رضى الله عنها ، قالت ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم — إن للقبر ضغطة ولو سلم أو نجا منها أحد لنجا سعد بن معاذ (١)

---

(١) رواه أحمد بسند جيد .

## هل يمكن معرفة أحوال الموتى بالمكاشفة فى المنام ؟ !

إن الموتى ينقسمون إلى أقسام ، سعداء وأشقياء ، ولا ندرى كيف ختم للميت ، وإن عولنا على صلاحه فى الظاهر ، فالتقوى محلها القلب ، وهو غامض يخفى على صاحب التقوى فكيف على غيره فلا حكم لظاهر الصلاح دون تقوى الباطن ( التى لا يعلمها أحد إلا الله ) قال تعالى ( إنما يتقبل الله من المتقين ). فقد تحول من عالم الملك والشهادة إلى عالم الغيب والملكوت ، فلا يرى بالعين الظاهرة ، وإنما يرى بعين أخرى خلقت تلك العين فى قلب الإنسان ( البصيرة ) ولكن الإنسان جعل عليها غشاوة كثيفة من شهواته وأشغاله الدنيوية ، فصار لا يبصر بها ولا يتصور أن يبصر بها شيئاً من عالم الملكوت ما لم تنقشع تلك الغشاوة عن عين قلبه (١) .

يقول الغزالى ، ولما كانت الغشاوة منقشعة عن أعين الأنبياء عليهم السلام فلا جرم نظروا إلى الملكوت وشاهدوا عجائبه ، والموتى فى عالم الملكوت فشاهدوهم وأخبروا ولذلك رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ضغطة القبر فى حق سعد بن معاذ ، وفى حق زينب ابنته ، وكذلك حال أبى جابر لما استشهد إذ أخبره أن الله أقعده بين يديه ليس بينهما ستر .

---

(١) هذا رأى الإمام الغزالى أحياء علوم الدين (ج ٤ /٤٢٨)

ومثل هذه المشاهدات لا مطمع فيها لغير الأنبياء والأولياء الذين تقرب درجاتهم منهم .

وهل من الممكن لأمثالنا أن نشاهد مثل ذلك ؟ ! يقول الغزالى بالإيجاب ، مستدلا بالحديث ( الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة ) (١) ولذلك لايوثق إلا برؤيا الرجل الصالح الصادق ( وصلاح الرجل ظاهرا لا يجعلنا نتيقن من صلاحه باطنا فالباطن غيب لا يعلمه إلا الله ) . وعلم الرؤيا وتفسيرها ، علم عجيب تكلم فيه الأقدمون ، والمتأخرون ، ولهذا العلم طرائف وعجائب جعلت بعض الناس يظنون فى الذين يرون الرؤى الصادقة، أنهم مقربون إلى الله سبحانه وتعالى(٢)، ولكنا وجدنا بالاستقراء ، أن كثيرا من الفسقة والكفرة وعباد الطبيعة والبقر ، والظلمة ، يرون رؤى صحيحة كفلق الفجر ، لا تكذب مطلقا ، هذا ما حدا إلى أن علماء النفس قالوا إن فى الإنسان قوى عجيبة(٣) فى عالم الخفاء » أو ما يسمونه العقل الباطن ، أو القوى اللاشعورية الكامنة فى مناطق اللاشعور ، والتى تستيقظ ليلاً وترينا رؤى قد تكون أمانى تبشرنا بها وقد تكون مواضيع لم نحلها فى عالمنا الشعورى ، فتنحل فى عالم اللاشعور ، كما حدث فى الذى اكتشف البنسلين لعلاج أمراض السكر ، فقد تحير زمنا طويلا ، فرأى رؤيا بها اكتشف هذا العقار العجيب ، الذى قضى على مضاعفات مرض السكر ، ولم يكن هذا المكتشف من أرباب الأحوال ولا من المؤمنين الصادقين ، وكذلك عزيز مصر ، كما رأى رؤيا البقرات

---

(١) يلاحظ أن الرؤيا الصالحة، لايراها إلا المؤمن الصالح، أما الرؤيا الصادقة فقديراها المؤمن وغير المؤمن ، وكثيراً ما تكون الرؤيا الصالحة صادقة ؟ !

(٢) وهذا ما نوهنا عنه سلفاً إذ نخشى على الناس الفتنة ونسأل الله السلامة .

(٣) راجع تفسير الأحلام لسجموند فرويد وهو كتاب علمى دقيق ، وكتاب ( السحر وتحضير الأرواح ) فى هذان الكتابان إسهاب وتفصيل .

السهان ، وفرعون موسى ، لما رأى رؤيا ذهاب ملكه على يد مولود من بنى إسرائيل ، وهكذا . .

ولعل ما جعل أصحاب كل دين يعتقدون فى دينهم أنه هو الحق ، ما يرونه من الرؤى التى تبشرهم بالنعيم بعد الموت ، وما يرونه من رؤية الموتى مناما بأنهم فى عالم الملكوت يتنعمون بجوار الرب ، كذا يرون ، وكذا يقول كهانهم لهم ، وقد تواترت الأخبار عن هذه الرؤى ، وهذا ما يجعلنا نقول ، ونحن مطمئنون، أنه إذا كان لبعض الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم هذه الخاصية ، خاصية « الوحى فى الرؤى » فليست لغيرهم إلا إذا أجزنا أن جبريل عليه السلام ينزل على غيرهم ، ولذلك نضرب صفحا ، عن كل ما جاء عن أحوال الموتى بالرؤى ، وإلا فقد وضعنا ما قاله الله سبحانه وتعالى فى الجزاء الأخروى موضع شك ، وأصبحنا فى حيرة بين ما نقرأ ، وما نرى مناما :

والحديث الشريف ( من رآنى فى المنام فقد رآنى حقاً فإن الشيطان لا يتمثل بى ( متفق عليه من حديث أبى هريرة ) هذا لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين شاهدوه وعرفوه حقاً ، ولم يتخيلوه فى صورة ما ، فيتمثل لهم مناما ، صورته لا ذاتيته ، فهم يرونه مناما ، وبالرغم من ذلك قال « علماء الأصول » إنه لا تشريع فى هذه الرؤيا ، وكثيرا ما تكون الرؤيا مؤولة على الرائى ذاته ، لا على المرئى (١) ..

قلما يخلو الإنسان من منامات صادقة ، دلت على أمور فوجدها صحيحة ، والرؤيا ومعرفة الغيب فى النوم من عجائب صنع الله تعالى ،

---

(١) أحيل القارئ إلى كتاب السيكلوجيا والروح ، الذى تناول هذا الموضوع تناولا علمياً وأثبت أن كثيراً من الأمم قاطبة والأديان المختلفة يرون أمواتهم فى دار النعيم ، بل ويتنبأون للأحياء منهم بأحداث تحدث لهم . وفى رأيى ليس هذا من قبيل الولاية بل إن النفس الإنسانية ذات مدارك شعورية ، وغير شعورية ، ترى من الأعاجيب وهذا بإرادة الله سبحانه وتعالى

وبدائع فطرة الآدمى ، وهو من أوضح الأدلة على « العالم الغيبى » وقدرة الإنسان على الاتصال به « ذاتيا » وقد أحسن أحد الفلاسفة إذ قال إن فى الإنسان عبقرة تجعله يعرف الأحداث قبل حدوثها .

والقول فى حقيقة الرؤيا من دقائق علوم المكاشفة ، وقد ألف فيها مؤلفون كثيرون ، وفلاسفة وحكماء ، ولكل وجهة هو موليها .

الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهو يحتضر

## وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم :

إنه الحادث الجلل الذى تقطعت لأجله نياط القلوب ، وعجب الناس هل حقيقة مات الرسول أم انتقل ، وسيأتى ثانية ؟ أن الكتب التى تناولت سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، تحدثت عن وفاته ، وكان فى حديثها بعض الاختلاف .

ومن أبواب الخلاف والفتنة ، التى سدها القرآن الكريم سداً حاسماً ، وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم وتوكيده أنه بشر يموت كما يموت الناس ، ويراه الناس جميعاً مسجى فى فراش الموت ، فلا يكون هناك داعية للعواطف الجامحة ، والخيالات البعيدة ، فقد اختلط الأمر ، عند رفع المسيح ، كما ورد فى القرآن الكريم ( إذ قال الله ياعيسى إنى متوفيك ورافعك إلى ومطهرك من الذين كفروا ) (١) .

فمن قائل أن المسيح توفى آخذاً بمعنى الوفاة أنها الموت ، ومن قائل أن الوفاة هنا بمعنى النوم ( الله يتوفى الأنفس حين موتها ، والتى لم تمت فى منامها فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى)(٢)

---

(١) ٣/٥٩

(٢) ٣٩/٤٢

والقول الراجح ، رفعه عليه السلام إلى السماء لمدة ينزل بعدها إلى الأرض لا يعلمها إلا الله ، والله أعلم .

ولكن القرآن الكريم لم يتركنا فى حيرة حينما تحدث عن وفاة خاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم ، فقد ورد فى سورة آل عمران فى خبر معركة أحد ، عندما كادت الهزيمة تلحق المؤمنين فتطايروا هرباً ، وجرح الرسول صلى الله عليه وسلم فى وجنته وشفته وكسرت رباعيته ، وسال دمه ، ووقع فى حفرة وجحشت ركبته وأدميت ، وجاء نصر الله بفضل ثبات الرسول صلى الله عليه وسلم على ما أصابه مما سبق ، ودعوته المسلمين إلى العودة ، فرحبوا إليه بعد فرارهم ، ووقفوا إلى نهاية المعركة حتى تحقق النصر ، وانطلق المشركون إلى مكة ، لم ينالوا من المسلمين شيئاً ، وفى ذلك يقول الله تعالى فى سورة آل عمران « أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ، ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون ، وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل أنقلبتم على أعقابكم ، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً ، وسيجزى الله الشاكرين ، وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلا ، ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ، ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها وسنجزى الشاكرين » (١) .

والآيات الأخرى وردت فى سورة الزمر فى معرض تذكير الناس بفضله عليهم قال تعالى ( إنك ميت وإنهم ميتون ثم إنكم يوم القيامة تبعثون ) (٢) .

وإن كان الحزن قد خيم على الصحابة وأبعد تفكيرهم عن هاتين

---

(١) آل عمران ٣/١٤٢ – ١٤٥

(٢) الزمر ٣٥/٣١

الآيتين ، وسدل الخيال الجامح فى حب الرسول صلى الله عليه وسلم منافذ التذكرة ببشرية الرسول ، بل كادت تقع الفتن بالفعل يوم أن مات رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا أن أبا بكر الصديق تلافى الأمر ، وذكر الناس بهذه الأيات فى ساحة المحنة ، ولم يطش صوابه ورد إلى الناس رشدهم عندما تلا عليهم هذه الآيات فى هذه المحنة ، فصدقوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات عندما جاء أجله المحتوم ، كما قال القرآن الكريم :

ومن أهم مراجعنا فى هذا الموضوع ، هو ما حققه المؤرخ الثقة الدكتور حسين مؤنس كما جاء فى مجلة اكتوبر سنة ١٩٨٢ ٢٧ يونيو(١) ، يقول : ( والشهد نعرفه جميعاً ، ولكنه يروى لنا باختصار ، فلنورده هنا على تواليه ليعلم الناس قدر البلاء الذى تعرضت له أمة الإسلام فى ذلك اليوم العصيب والخبر هنا مروى عن ابن سعد كاتب الواقدى وتلميذه وهو من أدق أصحاب السيرة فى مثل هذا الموطن قال :

روى عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكى الناس ، فقام عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى المسجد خطيباً فقال : لا أسمعن أحدا يقول أن محمداً قد مات ، ولكنه أرسل إليه كما أرسل إلى موسى بن عمران فلبث عن قومه أربعين ليلة ، وإنى والله لأرجوا أن تقطع أيدى رجال وأرجلهم يزعمون أنه مات .

وعن عكرمة أنه قال لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : إنه عرج بروحه كما عرج بروح موسى . .

---

(١) وبعد قراءاتى الكثيرة جداً فى السيرة النبوية فقد إنتهيت إلى أن ما كتبه الدكتور حسين مؤنس من أدق ما كتب فى هذه المسألة إذ ناقشها مناقشة علمية دقيقة وهى دراسة عالم محقق فجزاه الله خيراً .

ما مات حتى ترك السبيل نهجاً واضحاً ، أحل الحلال وحرم الحرام ونكح وطلق ، وحارب وسالم ، وما كان راعى غنم يتبع بها صاحبها رؤوس الجبال يخبط عليها العصاة بمخبطة ، ويهدر حوضها بيده بأنصب ولا أراب من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكم ،

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، استأذن عمرو المغيرة بن شعبة ، فدخلا عليه فكشف الثوب عن وجهه فقال عمر ، أغشيا ما أشد غشى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلما أنتهيا إلى الباب قال المغيرة . ياعمر . مات والله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال عمر ، كذبت . ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنك رجل نحوس فتنة ، ولن يموت رسول الله حتى يفنى المنافقين .

ثم جاء أبو بكر ، وعمر يخطب فقال أبو بكر ، أسكت ، فسكت ، فصعد أبو بكر المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قرأ « إنك ميت وإنهم ميتون » ثم قرأ « وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ، ومن ينقلب على عقبية فلن يضر الله شيئاً وسيجزى الله الشاكرين » ، ثم قال من يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حى لا يموت .

فقال عمر : هذا فى كتاب الله ، قال أبو بكر : نعم قال عمر : أيها الناس ، هذا أبو بكر وذو شيبة المسلمين فبايعوه فبايعه الناس ، هذه الرواية فى مجموعها مقبولة ، هذا ما الدكتور حسين مؤنس ثم يسترد :

وقول العباس بن عبد المطلب ، أن رسول الله يأسن كما يأسن البشر ، وما يليها له وجه من الحق . فإن دفن رسول الله استأخر نتيجة للذهول الذى أصاب المسلمين عندما نزل به الموت ، وقد كانت الوفاة قرب ظهر ١٢ ربيع الأول سنة ١١ هـ على أصح الأقوال ، يقابل ٨ يونيو سنة ٦٣٢ م

ثم ترك الرسول بقية ذلك اليوم وليلة اليول التالى كله ، وكلام العباس

هذا ، ودخول أبي بكر كانا قرب عصر اليوم الثالث للوفاة ، لأن أبا بكر أخفى فى صبيحة الوفاة فقد وجد من الرسول إفاقة فاطمأن عليه فاستأذنه فى أن يذهب إلى زوجته أم خارجة بالسنح (١) .

وعندما قال العباس : أيميت الله أحدكم أماتة ، ويميته ميتتين ؟ كان يشير إلى ما ذهب إليه بعض المسلمين ومنهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن رسول الله مات أو غشى عليه وسيحيا ليتم رسالته ثم يموت بعد ذلك ،

ويؤكد لهم العباس رضى الله عنه أن الرسول صلى الله عليه وسلم مات بعد أن أتم رسالته ، وأنه كان أرأف الناس بأصحابه ، فكانوا رفيقين ؛ وواروه التراب .

وكان للآيات القرآنية التى أوردها أبو بكر رضى الله عنه ، وكانوا عنها فى غفلة النسيان من شدة حبهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم أثر فى إنقاذ المسلمين من شر مستطير ، شر الاختلاف فى موته .

ومما حققه البحاثة القدير المؤرخ دكتور حسين مؤنس، كما جاء بمجلة اكتوبر آنفة الذكر ص ٣٣ ، — ولكن القرآن لم يقل بالكلام الواضح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يمرض ويعتل كما يمرض غيره من الناس ويشفى عندما يريد الله له الشفاء ، وقد كان هذا مفهوماً وواضحاً لا يحتاج إلى نص لأنه مظهر من مظاهر بشرية الرسول . ولكن عدم النص على المرض جعل الصحابة يعتقدون أنه صلى الله عليه وسلم قد خلق من حديد ، فهو لا يمرض ولا يعتل .

والقول بأن الرسول صلى الله عليه وسلم لا يمرض ولا يتعب ، تزايد مع الزمن (٢) . ومن المعروف أن الذين كتبوا السيرة النبوية مروا بمراحل ،

---

(١) حى فى شمال المدينة المنورة يسكنه بنو الحارث من الخزرج ، وكان أبو بكر قد أصهر فيهم .

(٢) المرجع السابق .

لكل مرحلة خصوصيتها ، فكتاب السيرة الأول وهم الذين تعتمد عليهم فى نقل السيرة أحزاب ، ابن إسحاق ، والواقدى ، وموسى بن عقبة ، وابن سعد وهذه هي المرحلة الأولى فى كتابة السيرة ، وبعدهم كتب فى النصف الثانى من القرن الهجرى الثالث ، والقرن الرابع الهجرى من أمثال الطبرى ، واليعقوبى ، وابن هشام ، والمرحلة الثالثة من كتاب القرن الرابع و الخامس من أمثال أبى عمر يوسف بن عبد البر النمرى ، والقاضى عياض بن موسى . والمرحلة الرابعة من كتاب القرن السادس والسابع والثامن ، من أمثال أبى عبد الرحمن السهيلى ، والكلاعى ، وابن حجر العسقلانى ، وا.. الفتح بن سيد الناس ، والمقريزى ، والسيوطى ، والمرحلة الخامسة فى القرون الأخيرة حتى العصور الحديثة ، كما فى السيرة الحلبية ، وكنوز الحقائق للمناوى ، ونهاية الأرب للنويرى ، والمرحلة الأخيرة ، كما جاء فى تاريخ محمد حسين هيكل عن الرسول ، وطه حسين ، والعقاد . . . الخ

* * *

ولقد لوحظ أن كتاب الأندلس ، ولأنهم كانوا يواجهون النصارى ويساجلونهم مما يؤلفون فى السيرة ، كانت تضاف إليها أخيلة كثيرة ، وقصص ويتبين هذا فيما كتبه ابن حزم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والأنبياء فى ( الفصل من الملل والأهواء والنحل ) وهو أول تاريخ مقارن للأديان كتبه إنسان ، فنلاحظ أن ما كتبه ابن حزم لم يترك فضلا أو معجزة أو ميزة لنبي من الأنبياء إلا أتى لرسول الله صلى الله عليه وسلم بما هو أعظم منها . . .

فاضت روح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصعدت إلى بارئها ، ولحق الرسول الكريم بالرفيق الأعلى .

قالت عائشة رضى الله عنها (كما جاء فى طبقات ابن سعد ) وهى لا

تفترق كثيراً عن الطبقات الأخرى ، بعد أن روت كيف قرأت فى عينى الرسول الأكرم أنه يريد السواك الذى رآه فى يد أخيها الشقيق عبد الرحمن ابن أبى بكر فمضغت رأسها وخفضتها وطيتها فاستن كأحسن ما رأيناه مستناً . ثم ذهب يتناولها فسقطت من يده ، أو سقطت يده فجمع الله ريقى وريقه فى آخر ساعة من الدنيا وأول يوم من الآخرة ( طبقات ٢ / ٥٠ ) واللحظة التى سقطت فيها يده الكريمة بالمسواك هى آخر لحظات حياته الشريفة ، ثم تناولت عائشة رضى الله عنها وسادة فوضعتها تحت رأسه ، وقالت : ثم قمت مع النساء أصيح وألتدم ، ولم يلبث الخبر أن انتشر فى المدينة جمعاء ، وبقية حجرات الرسول وفيها نساؤه فأقبل أمهات المؤمنين والنساء يصرخن ويبكين هذه هى الرواية المشهورة .

وهناك رواية أخرى عن هذه الرواية ، وهى فى طبقات ابن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر الواقدى – حدثنى عبد الله بن محمد بن على ابن أبى طالب ، عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مرضه أدعوا لى أخى ، فدعى له على ، فقال : أدن منى ، فدنوت منه فاستند إلى ، فلم يزل مستنداً وإنه ليكلمنى ، حتى أن بعض ريق النبى صلى الله عليه وسلم ليصيبنى ثم نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وثقل فى حجرى – فصحت ياعباس أدركنى فإنى هالك ، فجاء العباس فكان جهدهما جميعاً أن أضجعاه .

وورد الخبر بروايات أخرى شتى أكثرها تفصيلا ما يلى :

قال ابن سعد : أخبرنى محمد بن عمر ، حدثنى سليمان بن داود بن الحصينى عن أبى غطفان قال : سألت ابن عباس : أرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأسه فى حجر أحد ، فقال : توفى وهو مستند إلى صدر على ، قال : فإن عروة بن الزبير وهو ابن أخت عائشة حدثنى عن عائشة أنها قالت : توفى رسول الله بين سحرى ونحرى ، فقال ابن عباس أتعقل ؟ ، والله لتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنه لمستند إلى صدر علي . وهو الذى غسله وأخى الفضل بن عباس وأبى ( يريد العباس ) – ( طبقات ٢ / ٥٢ ) .

والجميع متفقون على أنه صلى الله عليه وسلم عندما مات سجى وهو على فراشه ببرد حبره ( ملاءة سوداء ) غطى بها (١) .

ورواية أخرى تقول : عن عائشة رضى الله عنها ، بعد أن اشتدت الحمى برسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورأيناه يوماً تحمر وجهه ( تشتد به سخونته ) ويعرق جبينه ، ولم أكن قط رأيت ميتاً قبله ، ثم قال : أقعديني . فأسندته إلى ووضعت يدى عليه ، فقلب رأسه ، فوقعت يدى عنه ووقعت من فيه نقطة باردة على صدرى أو قالت ( عن ترقوتى ) فسقط على الفراش ، فسجيناه بثوب ( بلاذرى ١ / ٥٦٣ ) .

وقامت الضجة ، وأخذ النساء يبكن ويصحن ويلتدمن . وانثالت جموع الناس على صحن المسجد فهو يموج بهم موجاً ، وما منهم من أحد يصدق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات فهو ذهول لا يصدقون أن الرسول قد اختطف من بينهم خطفاً ، ويستأذن عمر بن الخطاب ومعه المغيرة بن شعبة يدخلان وتقول عائشة رضى الله عنها ومددت الحجاب ، فقال عمر . يارسول الله . فقلت غشى عليه منذ ساعة فكشف عن وجهه وقال واغشياه ؟ ما أشد غشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ! ! ثم غطاه ، ولم يتكلم المغيرة ، فلما أن بلغ عتبة الباب ، قال : مات رسول الله ياعمر . قال عمر : كذبت . ما مات رسول الله ولا يموت حتى يؤمر بقتال المنافقين . بل أنت امرؤ تحوسك الفتنة ( بلاذرى ١ / ٥٦٣ — تحقيق المؤرخ الثبت دكتور عبد الحميد يونس ) ويستطرد الدكتور مؤنس فى بحثه القيم :

وتعلق الناس بما قال عمر ، لأن أبا بكر كان غائباً ، فجعلوا يقولون ، لم يمت . لم يمت ، وذهب كلهم برأى غير رأى الآخر . . وقال بعضهم :

---

(١) ما المانع الأخذ بهذه الآراء جميعاً ، ونقول ، إن فى حالة الاحتضار ، كانت عائشة رضى الله عنها بجانبه تارة ، وعلى ابن أبى طالب تارة أخرى ، فهى أضجعته مرة ، وعلى بن أبى طالب أضجعه أخرى ، فالناس فى هذه الحالة شبه مذهولين ، لا يدركون من كان الأول زائراً ومن كان الآخر ؟ !

إنما عرج بروحه إلى السماء كما عرج بروح موسى ، وما زال عمر يتكلم حتى أزبد شدقاه ، وقضى الناس ليلتهم الأولى بين بكاء من جانب النساء ، وحيرة ، وشك ، وذهول من جانب الرجال .

* * *

ولكن العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم ، استدرك وقال . ياقوم أفيقوا من ذهولكم ، وافتحوا أعينكم على الحقيقة التي أنتم فيها — لقد مات رسول الله كما يموت غيره من الناس ، مات ولن يبعث حياً مرة أخرى لا بعد أربعين ليلة — كما حدث لموسى كما يقولون ، ولا بعد مائة ليلة ، مات وإنه ليتغير الآن ( يأسن ) كما يأسن البشر ، فدعكم من الأوهام وأعلموا أنه قد مات فبادروا إلى دفنه قبل أن يشتد تغير جسده ، ماذا تزعمون ؟ هل مات ، وسيبعث ليموت مرة أخرى ، هل يموت الواحد منكم مرة ويموت محمد مرتين ؟ إنه أكرم على الله من ذلك . فإن الله باعثه إلى الحياة بعد أربعين ليلة كما تقولون أفليس الله بقادر في هذه الحالة على أن يزيح عنه التراب ويخرجه إليكم إن شاء ولماذا يبعث محمد مرة أخرى ؟! إنه والله ما مات حتى ترك الطريق أمامكم واضحة لقد أقام قواعد الدين ، وحلل الحلال وبين الحرام ، ولقد تزوج وطلق وحارب وسالم وكان رفيقاً بكم من رفق راعي الغنم بغنمه ، فهو يسرح بها في رءوس الجبال ويحرص ألا على تضيع منه شاة واحدة ، فهو — أي الراعي — يحرسها بعصاه ، ولا يضرب بها ، بل يضرب الشجر الصغيرة الذي ترعاه ( الغضاة ) لكي تتجمع بعضها إلى بعض فلا تضيع ، فإذا أراد لها أن تستريح بنى لها بيده سياجاً من الطين وأنشأ لها بيده حوضاً . فلتكونوا أنتم أيضاً رفيقين به ، فادفنوه قبل أن يشتد تغيره ( نويرى ١٨ / ٣٨٦ . ) . . .

ولكن من يسمع ومن يجيب فالناس في حيرة وذهول ، ولعمر أشدهم كرباً وحيرة وصياحاً ، والوقت صيف والحر شديد ، وعلى ابن أبي طالب رضى الله عنه شمله هذا الذهول ، وتولته الحيرة والكرب .

ويقبل صباح اليوم الثالث للوفاة وهو الأربعاء ١٤ من ربيع الأول سنة ١١ هـ ١٠ من يونيو سنة ٦٣٢ م والدهشة على أشدها .

ثم يأتى أبو بكر فى غالب الأمر فى ضحى الأربعاء ١٤ من ربيع الأول ١٠ يونيو سنة ٦٣٢ م — ويقول صاحب البداية والنهاية الحافظ إبن كثير . . فذهب سالم بن عبيد وراء الصديق إلى السنح فأعلنه بموت رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء الصديق من منزله حين بلغه الخبر فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم منزله وكشف الغطاء عن وجهه ، وقبله ، وتحقق أنه قد مات . .

أقبل من السنح على دابته مكروباً محزوناً فاستأذن فى بيت ابنته عائشة فأذنت له ، وحنى على رأس الرسول صلى الله عليه وسلم يقبلها ويبكى ، ويقول : والذى نفسى بيده رحمه الله عليك يارسول الله ما اطيبك حيا وميتاً ثم غشاه بالثوب ثم خرج سريعاً إلى المسجد يتخطى رقاب الناس حتى أتى المنبر وجلس عمر حين رأى أبا بكر مقبلا إليه ، كان أبو بكر رضى الله عنه قد تحقق من موت النبى صلى الله عليه وسلم بالدليل القاطع بداية تغير حالة الجسد ، وإلا فلو أن أبا بكر عندما كشف الثوب وجد رسول الله على حاله دون أى تغير بعد مرور يومين تقريبا على الوفاة فقد يكون ما يقوله عمر ابن الخطاب حقاً ، وفى هذه الحالة لابد من التربص والانتظار ، أما الآن فقد وقعت الوفاة ولا شك ، وليس ما يقوله ابن الخطاب شيئاً . . .

قام أبو بكر جانب المنبر ونادى الناس فجلسوا وانصتوا ، فتشهد أبو بكر بما علمه من التشهد وقال أن الله عز وجل نعى نبيه إلى نفسه وهو حى بين أظهركم ، ونعاكم إلى أنفسكم ، وهو الموت حتى لا يبقى أحد منكم إلا الله عز وجل . قال تعالى : « وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزى الله الشاكرين) فقال عمر من الدهشة أهذه الآية فى القرآن؟ والله ما علمت أن هذه الآية نزلت قبل اليوم .

وقد قال الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم « إنك ميت وإنهم ميتون » ( الزمر : ٢٩ / ٣٠ )

قال تعالى : « كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون » .

وقال الله تعالى : « كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة » .

وقال تعالى « كل من عليها فان ، ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام » .

وقال أبو بكر متابعاً حديثه ، إن الله عمر محمداً صلى الله عليه وسلم وأبقاه حتى أقام الدين ، وأظهر أمر الله وبلغ رسالة الله ، وجاهد في سبيل الله ، ثم توفاه الله على ذلك ، وقد ترككم على الطريقة فلن يهلك هالك إلا من بعد البينة والشفاء فمن كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت ، فاتقوا الله أيها الناس ، واعتصموا بدينكم وتوكلوا على ربكم فإن الدين قائم ، وإن كلمة الله تامة ، وإن الله ناصر من نصره ، ومعز دينه ، وإن كتاب الله بين أيدينا وهو النور وهو الشفاء . وبه هدى الله محمداً صلى الله عليه وسلم ، وفيه حلال الله وحرامه ، والله لا نبالي من أجلب علينا من خلق الله ، إن سيوف الله المسلولة ما وضعناها بعد ولنجاهدن من خالفنا كما جاهدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم — فلا يبغين أحد إلا على نفسه ( ابن كثير ٥ / ٢٤٣ ) . . .

يقول الزهري راوياً عن سعيد بن المسيب إن عمر بن الخطاب قال : والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها فعقرت حتى والله ما تقلني (١) رجلاى ، وحتى هويت إلى الأرض ، وكان الناس في ذلك الحين يقولون تربصوا

---

(١) تقلني رجلاى : تحملني .

بنبيكم لعله يعرج به إلى السماء فتربصوا حتى ربا بطنه (١) ، وكان بعض الناس يقولون والله أنه ما مات ولكنه رفع كما رفع عيسى بن مريم ، وتوعدوا من قال إنه مات ، وتناول بعض الناس على باب حجرة عائشة ، رضى الله عنها — لا تدفنوه فإن رسول الله لم يمت ( طبقات ٢ / ٥٧ ) . . .

هذه الخطبة تدل على أن أبا بكر كان أكثر الصحابة حضور ذهن ، وأصدقهم نظرة واملكهم بزمام نفسه ، وأعظمهم أثراً فى الناس ، فما كاد يقول هذا الكلام ويخلص منه حتى رجع إلى الناس رشدهم ، وتنبهوا من ذهولهم ، وابعدو الأوهام عن أذهانهم ، وسلموا بالأمر الواقع . .

وبذلك فقد كان أبو بكر رضى الله عنه رجل الأزمات والمواقف ، لأن الناس فى وسط غمرة الحيرة التى تنتابهم فى حاجة إلى من ينقذهم منها ، وليس هذا بغريب فى أبى بكر رضى الله عنه ، فقد عرف كيف يقود الموقف ، ويوضح للناس السير بعد موت نبيهم ، الذى كانوا يركنون إليه فى كل شى .

وعاد الناس إلى رشدهم ، وسلموا بأن نبيهم لحق بربه ، مثل بقية الأنبياء والمرسلين قبله ، فأقبلوا على تجهيزه وقد مضى على موته ثمان وأربعون ساعة . وهى وقت طويل جداً على رجل يموت فى شهر يونيو فى الحجاز . وواجب المسلمين فى هذه الحالة الإسراع بدفنه .

ويحكى ابن سعد الواقدى ( أن المهاجرين دخلوا حجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعلى بن أبى طالب والعباس متشاغلان به ، فما كادوا يمضون فى هذا حتى جاء « معن بذ عدى » وعويم بن ساعدة فقالا لأبى بكر

---

(٢) ربا بطنه : انتفخت .

باب فتنه . أن لم يغلقه الله بك فلن يغلق أبداً ، هذا سعد بن عبادة الأنصاري في سقيفة بني ساعدة يريدون أن يبايعوه ، فمضى أبو بكر ، وعمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح ، حتى جاءوا السقيفة ، وإذا سعد بن عبادة على طنفسة متكئاً على وسادة وعليه الحمى ، فقال له أبو بكر ، ما ترى يا أبا ثابت ؟ فقد وجده يتكلم من فراش مرضه ، وكان بعض الناس يذيعون الكلام بصوت مرتفع ، إذ بطبيعة مرضه كان كلامه هوناً ، ولقد أسرع أبو بكر ، وعمر ، وأبو عبيدة قبل أن يتخذ الأنصار قراراً ، وكان كل منهم يرتب في ذهنه كلاماً يقوله فادركوا بعض كلام سعد بن عبادة ، وكلامه كان يعبر عن رأى الأنصار ، فذكر كيف إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لبث في قومه بضع عشر سنة يدعو فلم يجبه أحد إلا قليل منهم ، وكانوا عاجزين عن الدفاع عنه ، وحمايته حتى إذا أراد بكم الفضيلة ساق إليكم الكرامة وخصكم بالنعمة ، فرزقكم الله الإيمان به وبرسوله فكنتم أشد الناس على عدواه منهم ، وأثقله على عدوه من غيركم ، حتى استقامت العرب لأمر الله طوعاً وكرهاً ، وأعطى البعيد المقادة صاغراً داهراً حتى أثخن الله عز وجل لرسوله بكم الأرض ودانت بأسيافكم له العرب ، وتوفاه وهو عنكم راض ، وبكم قرير عين استبدوا بهذا الأمر فإنه لكم دون الناس . ( طبرى ٣ / ٢١٦ ) .

وهناك رواية أخرى ( بلاذرى : ٥٨٢ ) تقول :

« لما قبض النبي صلى الله عليه وسلم انحاز الأنصار إلى سعد بن عبادة ، واعتزل علي والزبير وطلحة في بيت فاطمة رضي الله عنها ، وانحاز المهاجرون إلى أبي بكر وعمر ومعهم أسيد بن الحضير في بني عبد الأشهل ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم في بيته لم يفرغ من أمره ، فأتى أبا بكر فقال : أدرك الناس قبل أن يتفاقم الأمـــر . . »

ونحن نعرف أن رسول الله توفى وفى الجزيرة فتن ، وحركات ضد الإسلام كان لابد من اطفائها قبل أن تتفاقم ، ومنافقون يتربصون بالإسلام

وأهله شراً يسارعون فى الكفر ، « من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم » ، وقد فضحت سورة التوبة أمرهم ، حقاً لقد كان فى ذهن أبى بكر الشيء الكثير يظهر ذلك فيما فعله عندما تولى خلافة المسلمين .

ودارت مناقشة بين المجتمعين من الأنصار ، وأشار بعضهم إلى احتمال رفض مهاجرة قريش » مبايعة سعد بن عبادة ، فهم المهاجرون ، وهم صحابة رسول الله الأول ، فعلام ينازعون هذا الأمر ، فقالت طائفة منهم ، فإنا نقول إذن : منا أمير دينكم ، ولن نرضى بدون هذا الأمر أبداً ، فقال سعد بن عبادة حين سمعها هذا أول الوهن ، وحقيقة كيف يكون للأمة أميران ؟ ! واحد من المهاجرين ، وواحد من الأنصار . .

ومن الخطباء فى هذا المؤتمر الحباب بن منذر ، وكان رجلا عسكرياً ممتازاً ، فهو صاحب الخطة العسكرية فى بدر ، وخيبر ، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يأخذ برأيه كثيراً ( ومن قوله ) يامعشر الأنصار ، املكوا على أيديكم فإن الناس فى فيئكم وفى خلكم ، ولن يجترئ مجترئ على خلافهم ، ولن يصدر الناس إلا عن رأيكم وأنتم أهل العزة والتردة وأولو العدد والتجربة وذود الناس والنجدة ، وإنما ينظر الناس إلى ما تصنعون ، فلا تختلفوا فيفسد عليكم رأيكم . . . الخ .

وهنا يثور حديث عنيف بن عمر رضى الله عنه ، وبن الحباب رضى الله عنه ، ويتدخل أبو عبيدة فيقول : يامعشر الأنصار ، إنكم أول من نصر وآزر ، فلا تكونوا أول من بدل وغير ، فيجيب أنصارى آخر قائلا : ( يامعشر الأنصار ، إنا والله لئن كنا أولى فضيلة فى جهاد المشركين وسابقة هذا الدين ما أردنا إلا رضوان ربنا ، وطاعة نبينا صلى الله عليه وسلم والكدح لأنفسنا ، وما ينبغى أن نستطيل بذلك على الناس ، ولا نبغى المنة علينا بذلك إلا أن محمداً من قريش وقومه به أولى ، وايم الله لا يرانى الله أنازعهم هذا الأمر أبداً ، فاتقوا الله ولا تخالفوهم ولا تنازعوهم ، وبدأ أبو بكر فحمد

الله وأثنى عليه بما هو أهله بالكلام عن المهاجرين وفضلهم وذكر كيف خصهم الله بصدق نبيه والإيمان به ، والمواساة له ، والصبر معه على شدة أذى قومهم بهم وتكذيبهم إياه ، فهم أول من عبد الله على الأرض ، وآمن بالله ورسوله ، وهم أولياؤه وعشيرته وأحق الناس بهذا الأمر من بعده ، ولا ينازعهم ذلك إلا ظالم ، وأنتم أيها الأنصار ، أنتم من لا ينكر فضلهم فى الدين ولا سابقاتهم العظيمة فى الإسلام رضيكم الله أنصاراً لدينه ورسوله ، وجعل إليكم هجرته وفيكم جل أزواجه ، وأصحابه ، فليس بين المهاجرين الأولين أحد بمنزلتكم ، فنحن الأمراء وأنتم الوزراء لا تغافون بمشورة ، ولا تقضي دونكم الأمور ( نويرى ١٩ / ٣٤ ) . .

ولكن الحباب بن منذر رضى الله عنه ، ربما لم يعجبه بعض عبارات أبى بكر رضى الله عنه فتكلم ، فأبى عمر بن الخطاب ألا أن يرد عليه ، فطلب إليه أبو بكر أن ينصت ، وعاد يتكلم بهدوئه ورزانته وحكمته ، وكأنه قد أحس أن الحباب يريد أن يحفظ لنفسه ولقومه بنصيب من الأمر ، ولم يكن لدى أبى بكر مانع من ذلك ، فعاد يقول « نجد أول الناس إسلاماً ، وأوسطهم داراً ، وأنتم إخواننا فى الإسلام ، وشركاؤنا فى الدين ، نصرتم وآمنتم فجزاكم الله خيراً ، فنحن الأمراء وأنتم الوزراء ولن تدين العرب إلا لهذا الحى من قريش ، فقد يعلم ملأ منكم أن رسول الله قال ( الأئمة من قريش ، فأنتم أحقاء ألا تنفسوا على إخوانكم من المهاجرين ما ساق الله إليهم ( بلاذرى / ٥٨٢ )

فقال الحباب بن المنذر رضى الله عنه ( ما نحسدك ولا أصحابك وكلنا نخشى أن يكون الأمر فى أيدى قوم قاتلناهم فحقدوا علينا ، فقال أبو بكر : إن تطيعوا أمرى فبايعوا أحد هذين الرجلين ( يريد عمر ، وأبا عبيدة ) فأبى الإثنان . وبادر بشير بن سعد فبايع أبا بكر وأعقبه عمر وأبو عبيدة وأسد بن الحضير . . وبهذا انحسم الموقف .

وكان عمر رضى الله عنه لا يزال متخوفاً ، فإن سعد بن عبادة وله أتباعه ، والحباب بن منذر وله قومه ، لا زالا على رفضهما ولكن ما لبثت الفتنة أن أخمدت ، واندحر الشيطان (١) . .

لقد أقبل المسلمون زرافات ووحداناً على مبايعة أبى بكر فى طرقات المدينة قبل أن يصل إلى مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم . وكانت غالبية هؤلاء المبايعين من الأنصار ، من قوم سعد بن عبادة ، ومن قوم الحباب ابن المنذر واستحق أبو بكر ما استحق لإيمانه أولا ولحب الرسول ثانياً . وفى ذاته ثالثاً .

وأخيراً فقد أصبح أبو بكر سيد الموقف ، وإنما هذا العمل الجليل قبل المغرب ، وهذا يدل على حصافة الرجلين وحزمهما البالغ . وقدرتهما على تصريف الأمور ، ومواجهه المواقف العسيرة ، وجاء إلى المسجد والناس يكبرون من حولهما ، وسمع العباس وعلى التكبير فى المسجد ولم يفرغوا من غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا : ما هذا ؟ قال العباس ما رده ، مثل هذا قط ، قال مخرج على وقال يا أبا بكر ، ألم تر لنا حقاً فى هذا الأمر ؟ قال بلى ولكنى خشيت الفتنة ، وقد قلدت أمراً عظيماً . قال على ، وقد علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرك بالصلاة ، وأنك ثانى إثنين فى الغار . وكان لنا حق ، ولم نستشر ، والله يغفر لك مبايعه ( بلاذرى / ٥٨٢ ) .

وبعد أن تمت البيعة نهائياً لأبى بكر ، وأصبح الوصى على أعظم ميراث

---

(١) يقول القاضى أبو بكر بن العربى فى كتاب العواصم من القواصم أن السكوت على ما جرى من عبد الحميد يونس – المرجع السابق – بقوله.وهو يجرى على هذا الرأى فى طريق أولئك الذين يرون دائماً أن تظل هذه الأمة فى ظلام فلا تعرف من حقائقها شيئاً . وماضر هذه الأمة من الاستفادة من التجارب إلا هذا الحجر عليها ، وإخراجها من الأمور بداعى التقى وإكرام السلف الصالح . ولست أدرى ماذا هناك يضير السلف الصالح فيما رويناه ونرويه ، لقد زادوا فى نظرنا صلاحاً وفطنة . ( مجلة أكتوبر العدد ٣٠٢ ص ٢٢ ) .

خلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الأمة التي بناها على قواعد الإسلام ، جاء وهو الآن يمثل السلطة ليشهد بقية تجهيز رسول الله ودفنه » .

ويقول المؤرخون روايات شتى ينسبونها إلى علي رضي الله عنه . قال : لما أخذنا في تجهيز رسول الله صلى الله عليه وسلم أغلقنا الباب دون الناس جميعاً ، فتصايحت الأنصار نحو أخواله ، ، وقريش نحن عصبته ، فصاح أبو بكر يا معشر المسلمين كل قوم أحق بجنازتهم من غيرهم فإننا ننشدكم الله فإنكم إن دخلتم أخرتموهم عنه ، فقد تأخر تجهيز رسول الله ودفنه جداً أكثر من ثمان وأربعين ساعة ، ومن الطبيعي أن يتغير جسده خلال هذه الفترة الطويلة في شهر يونيو في الحجاز .

ويقول ابن سعد : لم يدفن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى عرف الموت في أظفاره اخضرت ( ٢ / ٥٨ ) والبلاذري يؤكد هذا المعنى فيقول : إنه قد تغير لونه .

والطبري يقول : لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أبو بكر غائباً ، فجاء بعد ثلاثة ولم يجترئ أحد أن يكشف على وجهه حتى أربد بطنه ، وكان أبو بكر غائباً فجاء بعد ثلاث فكشف عن وجهه وقبل بين عينيه ، وقال طبت حياً وميتاً ( ٣ / ٢٠١ ) (١) .

---

(١) وللدكتور عبد الحميد يونس تعليق ظريف ، على موت رسول الله بعد إيراد الأخبار سابقة الذكر يقول في المرجع السابق ( هذه تفاصيل نذكرها للكثيرين ممن يقولون إن الولي الفلاني ظل على حاله بعد موته ، أو أن نعشه طار به ، ونقول لهؤلاء لابد أن أولياءكم خير من رسول الله ؟ !

ونعم ما قال الدكتور عبد الحميد يونس ، وأهمس في أذنيه ، بل وأجهر قائلا أن القائلين بهذا هم الشاطحين ، بادعائهم حب الرسول وآل بيته حتى يدخل على العوام والدهماء .

واحتاج الأمر إلى سرعة العمل ، فقام بالغسل على بن أبى طالب ، وابنا عمه « فضل ، وقثم » ابنا العباس ، وساعدهم شقران ، وأسامة بن زيد ، وشهد الغسل أوس بن خولى من الأنصار وقد غسلوه فى قميصة توقيا له ، وأتوا بالماء من بئر يقال لها « الفرس » فى قباء ، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يستعذب ماءها ، وقد وضع فى الماء شىء من السدر ، وهو نبات عطرى ، ثم كفن فى ثلاثة أثواب يمانية بيضاء ، ويقال فى ثوبين أبيضين ثم برد حبره ( قماش أسود ) ويقال أن جسده الطاهر وضع على قطيفة — بطانية حمراء — حماية له من تربة المدينة السنحة — الرطبة — واستحسنوا بعد ذلك ، بناء على رأى أبى بكر ، أن يدفنوه حيث مات ، وتناقشوا حول طريقة الدفن . فقال بعضهم يعمل له لحد — أى قبر يحفر ويبنى تحت الأرض — وقال آخرون يشق له شق فى الأرض ، ويدفن ثم يهال التراب ، وقد انتصر الرأى الأول ، فأزيح فراش الرسول الطاهر من موضعه ، وحفر القبر وبنى باللبن ، ثم نزل بالجثمان الطاهر على بن أبى طالب وبقية من كان فى الغسل ، وكان الوقت سحرا ساعة أغلقوا عليه القبر الطاهر ، قالت عائشة ما علمنا بدفن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سمعنا صوت المساحى فى السحر ، وقبل أن يدفن الرسول الكريم صلى الناس عليه أرسالا ، بدون إمام ، بدءوا بالرجال ، ثم بالنساء ثم الصبيان ، تدخل الجماعة فتصلى ، ثم تخرج من باب آخر ، وبعد أن أغلق القبر جعلوه مسطوحا ووضعوا عليه حجارة(١) .

## ماذا قال الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهو يحتضر ؟ !

عن عبد الله بن عبد الله بن عتبة أن عائشة رضى الله عنها وعبد الله ابن عباس قالا ( لما نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم ( تعنى المرض )

---

(١) وهنا انتهى كلام المورخ العظيم الدكتور حسين مؤنس الذى صدر فى مجلة أكتوبر العدد ٣٠٢ الصادرة فى ١٩٨٢/٨/٨ م . وقد نشرت هذه فى بضعة أعداد من هذه المجلة أوردناها بتصرف فى اللفظ والعبارة أحيانا .

طفق يطرح خميصة له على وجهه فإذا اغتم بها كشفها عن وجهه وهو كذلك لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ( يحذر ما صنعوا ) البخارى جـ ١ ص ١١٨ ، ومسلم .

وعن عروة بن الزبير عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مرضه الذى لم يقم منه « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ، قالت ، فلولا ذلك أبرز قبره ، غير أنه خشى أن يتخذ مسجدا ، صحيح مسلم جـ ٥ ص ١٢ ، والبخارى .

عن جندب ، قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم قبل أن يموت بخمس ، وهو يقول « أنى أبرأ إلى الله أن يكون لى منكم خليل فإن الله تعالى قد اتخذنى خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا ، ولو كنت متخذا من أمتى خليلا لاتخذت أبا بكر ، ألا ، وإن من قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد إنى أنهاكم عن ذلك ) صحيح مسلم جـ ٥ ص ١٣ .

الرسول صلى الله عليه وسلم هو يعانى برحاء المرض(١)،وأثقال الألم، وشدائد الحمى ، كما وصفها الصديق رضى الله عنه بقوله حين دخل عليه ، فقال يارسول الله أنك توعك وعكاً شديداً ، فقال صلوات الله عليه إنى أوعك كما يوعك رجلان منكم فقال . وأن لك لأجرين ، ولكنه صلوات الله عليه طرح خميصته عن وجهه فتحدث ، وهو لا يقول فضلا وحاشاه ، حاشاه أن يقول هزلا ، فكان حديثه فى موضوع ما لابد وأن يكون من أهم الموضوعات التى سيزيغ نفر من أمته عن الحق فيها وسيمس الزيغ العقيدة وستكون فتنة ، فبدأ يعيد ما سبق أن نبه عنه حال حياته إتخاذ القبور مساجد ، حتى قالت عائشة رضى الله عنها فلولا ذلك أبرز قبره فى المسجد غير أن خشى أن يتخذ مسجداً .

---

(١) برحاء المرض : شدته .

بدأ الرسول صلى الله عليه وسلم حديثه مبلغاً عن ربه تبارك وتعالى ، ولعن اليهود والنصارى — اللعن — الطرد من رحمة الله ، ووقوع غضبه ومقته وعذابه ، واللعن ليس لعن أشخاص وذوات إنما لعن أفعال وأعمال وصفات ، ويقول الله تعالى ( لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ، كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون ) المائدة ٧٨، ٧٩ (١)

ويقول جل ذكره : « ليس بأمانيكم ولا أمانى أهل الكتاب من يعمل سوءاً يجز به ، ولا يجد له من دون الله ولياً ولا نصيراً » ( النساء : ١٢٣ ) .

يقول ابن مسعود رضى الله عنه ، دخلنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيت أمنا عائشة رضى الله عنها حين دنا الفراق ، فنظر إلينا فدمعت عيناه صلى الله عليه وسلم ، ثم قال مرحباً بكم ، حياكم الله أواكم الله ، نصركم الله ، وأوصيكم بتقوى الله ، وأوصى بكم الله ، إنى لكم منه نذير مبين ، ألا تعلوا على الله فى بلاده ، وعباده ، وقد دنا الأجل ، والمنقلب إلى الله ، وإلى سدرة المنتهى ، إلى جنة المأوى ، إلى الكأس الأوفى ، فأقرءوا على أنفسكم وعلى من دخل فى دينكم بعدى منى السلام ورحمة الله . .

حديث مروى عن عائشة رضى الله عنها ( أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نغسله بسبع قرب من سبعة آبار ففعلنا ذلك فوجد راحة فخرج فصلى بالناس ، واستغفر لأهل أحد ، ودعا لهم وأوصى بالأنصار ، فقال ، أما بعد يامعشر المهاجرين فإنكم تزيدون ، وأصبحت الأنصار لا تزيد على هيئتها التى هى اليوم عليها وأن الأنصار عيبتى التى أويت إليها ، فأكرموا

---

(١) حاقت لعنة الله بمن سكت عن المنكر من بنى إسرائيل ، وعد كافراً على لسان إثنين من أنبيائهم عليهما السلام،ووصفوا بالكفر والعصيان والإعتداد لإثباتهم المنكرات ثم إقرارها والسكوت عنها ممن لا يفعلونها .

(٢) نزلت هذه الأية ، حين قال اليهود كتابنا خير من كتابكم ونبينا خير من نبيكم ، وكذا النصارى ، فقضى الله بين الجميع ، بهذه الآية الكريمة ، ثم دعا الجميع إلى الدخول فى الإسلام بقوله ( ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة إبراهيم حنيفاً ) النساء : ١٢٥

كريمهم — يعنى محسنهم — وتجاوزوا عن مسيئهم ، ثم قال إن عبداً خير بين الدنيا وبين ما عند الله فاختار ما عند الله ، فبكى أبو بكر رضى الله عنه ، وظن أنه يريد نفسه ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم على رسلك يا أبا بكر ، سدوا هذه الأبواب الشوارع (١) فى المسجد إلا باب أبى بكر ، فإنى لا أعلم أحداً أفضل عندى فى الصحبة من أبى بكر (٢) .

حديث سعيد بن عبد الله عن أبيه ، قال . لما رأت الأنصار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يزداد ثقلا ، أطافوا بالمسجد فدخل العباس رضى الله عنه على النبى صلى الله عليه وسلم فأعلمه بمكانهم واشفاقهم ثم دخل عليه الفضل فأعلمه بمثل ذلك ، ثم دخل عليه على رضى الله عنه فأعلمه بمثله ، فمد يده وقال ها فتناولوه ، فقال ما تقولون ، قالوا نقول نخشى أن تموت — وتصايح نساؤهم — لاجتماع رجالهم إلى النبى صلى الله عليه وسلم فثار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخرج متوكئاً على على والفضل ، والعباس ، أمامه ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم معصوب الرأس يخط برجليه حتى جلس على أسفل مرقاة من المنبر وثاب الناس إليه ، فحمد الله وأثنى عليه ، وقال : أيها الناس إنه بلغنى عنكم أنكم تخافون على من الموت ، كأنه استنكار منكم للموت ، وما تنكرون من موت نبيكم ، ؟ ألم أنع إليكم ؟ وتنعى إليكم أنفسكم ؟ هل خلد نبى قبلى فيمن بعثه فأخلد فيكم (٣) ؟ ألا إنى لاحق بربى ،

---

(١) الشوارع : أى النافذة .

(٢) هذا الحديث ذكره الغزالى فى إحياء علوم الدين ، فى موت الرسول ، يعلق عليه الحافظ العراق ، بقوله أنه فى مسند الدارمى ، وفيه إبراهيم بن المختار مختلف فيه عن محمد بن إسحاق وهو مدلس وكذا حديثها ، من لأمتى بعدى ، المروى فى الطبرى من رواية جابر ، إسناده ضعيف .

أما حديث عائشة رضى الله عنها ( قبض الرسول ) فى بيتى وفى يومى وبين سحرى ونحرى وجمع الله بين ريقه وريقى عند الموت ( متفق عليه ) .

(٣) القرآن الكريم صريح فى هذا فى قوله تعالى : ( وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد ) وبهذا نرد على إخواننا القائلين بأن الخضر لم يمت .

فهل كانت ( لجان دارك ) رحمها الله تكاشف وتنجلى عيناها حجب الغيب ؟ ؟ ! !

وأنكم لاحقون به ، وأنى أوصيكم بالمهاجرين الأولين خيراً ، وأوصى المهاجرين فيما بينهم ، فإن الله قال ( والعصر أن الإنسان لنى خسر ألا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ) وأن الأمور تجرى بإذن الله فلا يحملنكم استبطاء أمل على استعجاله ، فإن الله عز وجل لا يعجل لعجلة أحد ، ومن غالب الله غلبه ، ومن خادع الله خدعه ، فهل عسيتم أن توليتم أن تفسدوا فى الأرض وتقطعوا أرحامكم ، وأوصيكم بالأنصار خيراً ، فإنهم الذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلكم ، أن تحسنوا إليهم ، ألم يشاطروكم الثمار ، ألم يوسعوا عليكم فى الديار ، ألم يؤثروكم على أنفسهم وبهم الخصاصة ، ألا فمن والله أن يحكم بين رجلين فليقبل من محسنهم ، وليتجاوز عن مسيئهم ، ألا ولا تستأثروا عليهم ، ألا وأنى فرط لكم ، وأنتم لاحقون بى ، ألا وإن موعدكم الحوض حوضى أعرض مما بين بصرى والشام وصنعاء اليمن يصب فيه ميزاب الكوثر ، ماؤه أشد بياضاً من اللبن ، واللبن من الزبد ، وأحلى من الشهد ، من شرب منه لم يظمأ أبداً حصباؤه اللؤلؤ وبطحاؤه المسك ، من حرمه فى الموقف غدا حرم الخير كله ، ألا فمن أحب أن يرده على غدا ، فليكفف لسانه ويده إلا مما ينبغى .

فقال العباس ، يانبى الله أوصى بقريش ، فقال إنما أوصى بهذا الأمر قريشاً والناس تبع لقريش برهم لبرهم ، وفاجرهم لفاجرهم ، فاستوصوا آل قريش بالناس خيراً ، يا أيها الناس إن الذنوب تغير النعم ، وتبدل القسم ، فإذا بر الناس برهم أئمتهم ، وإذا فجر الناس عقوهم ، قال تعالى « وكذلك نولى بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون » (١) .

وروى ابن مسعود رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لأبى بكر رضى الله عنه ، سل يا أبا بكر ، فقال يارسول الله قد دنا الأجل ، فقال دنا الأجل وتدلى ، فقال ليهنك يانبى الله ما عند الله ، فليت شعرى

---

(١) هذا الحديث كما جاء فى الحافظ العراقى – فيه نكاره ولم يجد له أصلا .

عن منقلبنا ، فقال إلى الله ، وإلى سدرة المنتهى ، ثم إلى جنة المأوى ، والفردوس الأعلى ، والرفيق الأعلى ، والعيش المهنا ، فقال يانبي الله من يلى غسلك . قال : رجال من أهل بيتى الأدنى فالأدنى ، قال ، ففيم نكفنك ، قال فى ثيابى هذه ، وفى حلة يمانية ، وفى بياض مهر ، فقال ، كيف الصلاة عليك منا ( وبكينا وبكى ) ثم قال مهلا غفر الله لكم وجزاكم عن نبيكم خيراً ، إذا غسلتمونى وكفنتمونى فضعونى على سريرى فى بيتى هذا على شفير قبرى ، ثم أخرجوا عنى ساعة فإن أول من يصلى على الله عز وجل ( هو الذى يصلى عليكم وملائكته ) ثم يأذن للملائكة — فى الصلاة على فأول من يدخل عليه من خلق الله ويصلى على جبريل ثم ميكائيل ثم إسرافيل ، ثم ملك الموت مع جنود كثيرة ثم الملائكة بأجمعها صلى الله عليهم أجمعين ، ثم أنتم فادخلوا على أفواجاً فصلوا على أفواجا زمرة وسلموا تسليماً . ولا تؤذونى بتزكية ولا صيحة ولا رنة ويبدأ منكم الإمام وأهل بيتى ، الأدنى فالأدنى ، ثم زمر النساء ثم زمر الصبيان ، قال : فمن يدخلك القبر ، قال زمر من أهل بيتى الأدنى فالأدنى مع ملائكة كثيرة لا ترونهم وهم يرونكم ، قوموا فأدوا عنى إلى من بعدى (١) .

حديث عبد الله بن زمعه ، جاء بلال فى أول شهر ربيع الأول فإذن الصلاة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مروا أبا بكر يصلى بالناس ، فخرجت فلم أر بحضرة الباب إلا عمر فى رجال ليس فيهم أبو بكر ، فقلت قم ياعمر فصلى بالناس ، فقام عمر فلما كبر ، وكان رجلا اصيتا سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم صوته بالتكبير فقال أين أبو بكر يأبى الله ذلك ، والمسلمون ، قالها ثلاثاً ، مروا أبا بكر فليصل بالناس ، فقالت عائشة رضى الله عنها يارسول الله إن أبا بكر رجل رقيق القلب إذا قام فى مقامك غلبه البكاء، فقال — إنكن صويحبات يوسف(٢) ، مروا أبا بكر فليصلى بالناس —

(١) هذا الحديث رواه بن سعد فى الطبقات عن الواقدى بإسناد ضعيف .

(٢) حديث عبد الله بن زمعة ( أبو داود ) بإسناد جيد ، أما قول عائشة فى الصحيحين ، من قولها إن أبا بكر رجل رقيق الحال . . . الـخ .

قال . فصلى أبو بكر بعد الصلاة فكان عمر يقول لعبد الله بن زمعه بعد ذلك ويحك ماذا صنعت بي ، والله لولا إني ظننت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرك ما فعلت فيقول عبد الله إني لم أر أحداً أولى بذلك منك .

تقول عائشة رضى الله عنها . ما قلت ذلك ولا صرفته عن أبي بكر ألا رغبه به عن الدنيا لما في الولاية من المخاطرة والهلكة . إلا من سلم الله . وخشيت أيضاً ألا يكون الناس يحبون رجلا صلى مقام النبي صلى الله عليه وسلم وهو حي فيحسدونه ، ويبغون عليه ويتشاءمون به ، فإذا الأمر أمر الله ، والقضاء قضاؤه ، وعصمه الله من كل ما تخوفت عليه من أمر الدنيا والدين .

## هل استأذن ملك الموت الرسول في قبض روحه ﷺ :

ذلك حديث طويل أتى به الغزالي في إحياء علوم الدين جزء ٤ ص ٤٠١ ، وكان غفر الله ، لا يمحص الحديث النبوى ، ولا يهتم بمن قاله ، ولا يذهب في علله ، وبضاعته في الحديث كما قال ضعيفة .

ونظراً لأن هذا الحديث مشهور ، وموجزه ، كما قالت عائشة — كما زعموا — لما كان اليوم الذى مات فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، رأوا منه خفة في أول النهار ، فتفرق عنه الرجال إلى منازلهم وحوائجهم مستبشرين وأخلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنساء فبينما نحن على ذلك لم يكن على مثل حال في الرجاء والفرح قبل ذلك ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرجن عنى : هذا الملك يستأذن على فخرج من في البيت غيرى ، ورأسه في حجرى فجلس وتنحيت في جانب البيت فناجى الله طويلا ، ثم إنه دعانى فأعاد رأسه في حجرى ، وقال للنسوة أدخلن ، فقلت ما هذا بحس

جبريل عليه السلام فقال رسول ال صلى الله عليه وسلم أجل ياعائشة هذا ملك الموت جاءنى فقال إن الله عز وجل أرسلنى وأمرنى ألا أدخل عليك إلا بإذن ، فإن لم تأذن لى أرجع ، وإن أذنت لى دخلت وأمرنى ألا أقبضك حتى تأمرنى ، فماذا أمرك ؟ فقلت الفف عنى حتى يأتينى جبريل عليه السلام فهذه ساعة جبريل ، فقالت عائشة رضى الله عنها فاستقبلنا بأمر لم يكن له عندنا جواب ، فوجمنا وكأنما ضربنا بصاخة ما نحير إليه شيئاً وما يتكلم أحد من أهل البيت إعظاماً لذلك الأمر وهيبته ملأت أجوافنا قالت وجاء جبريل فى ساعته فسلم فعرفت حسه وخرج أهل البيت فدخل ، فقال إن الله عز وجل يقرأ عليك السلام ، ويقول كيف نجدك ، وهو أعلم بالذى تجد منك ، ولكن أراد أن يزيدك كرامة ، وشرفاً وأن يتم كرامتك وشرفك على الخلق ، وأن تكون سنة فى أمتك ، فقال أجد بى وجعاً ، فقال أبشر فإن الله تعالى أراد أن يبلغك ما أعد لك ، فقال ياجبريل إن ملك الموت أستأذن على وأخبره الخبر ، فقال جبريل يامحمد ، إن ربك إليك مشتاق ألم يعلمك الذى يريد بك ، والله ما استأذن ملك الموت على أحد قط ، ولا يستأذن عليه أبداً ألا إن ربك متم شرفك ، وهو إليك مشتاق قال فلا تبرح إذن حتى يجىء ، ونادى للنساء فقال يافاطم أدنى ،فأكبت عليه فناجاها ، فرفعت رأسها وعيناها تدمع ما تطيق الكلام ثم قال أدنى منى رأسك فأكبت عليه فناجاها فرفعت رأسها وهى تضحك كما تطيق الكلام ، فكان الذى رأينا منها عجباً ، فسألتها بعد ذلك ، فقالت خبرنى ، وقال إنى ميت اليوم فبكيت ، ثم قال إنى دعوتى الله أن يلحقك بى فى أول أهلى ، وأن يجعلك معى فضحكت ، وأدنت ابنيها منه فشمهما ، قالت وجاء ملك الموت ، فسلم واستأذن فأذن له . فقال الملك ما تأمرنا يامحمد قال الحقنى بربى الآن . فقال بلى من يومك هذا . أما إن ربك إليك مشتاق ،ولم يتردد عن أحد تردده عنك ولم ينهى عن الدخول

على أحد إلا بإذن غيرك ، ولكن ساعتك أمامك ، وخرج ، قالت : وجاء جبريل فقال السلام عليك يارسول الله هذا آخر ما أنزل فيه إلى الأرض أبداً ، طوى الوحى وطويت الدنيا وما كان لى فى الأرض حاجة غيرك وما فيها حاجة إلا حضورك ثم لزوم موقفى . . . (١) .

( حديث آخر ) : قالت عائشة رضى الله عنها لما اجتمعوا لغسله قالوا والله ما ندرى كيف نغسل رسول الله صلى الله عليه وسلم أنجردوه عن ثيابه كما نصنع بموتانا ؟ أو نغسله فى ثيابه . قالت فأرسل الله عليهم النوم حتى ما بقى منهم رجل ألا واضع لحيته على صدره نائماً ، ثم قال قائل لا يدرى من هو ؟ غسلوا رسول الله وعليه ثيابه فانتبهوا ففعلوا ذلك ، فغسل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قميصه حتى إذا فرغوا من غسله كفن . وقال على كرم الله وجهه أردنا خلع قميصه فنودينا لا تخلعوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقررناه فغسلناه فى قميصه كما نغسل موتانا مستلقياً ما نشاء أن يقلب منه عضو لم يبالغ فيه إلا قلب لنا حتى نفرغ منه ، وإن معنا لحفيفاً فى البيت كالريح الرخاء ويصوت بنا ، أرفقوا برسول الله فإنكم ستكفون ، فهكذا كانت وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يترك سيدا ولا لبدا إلا دفن معه ، وحديث ابن عمر . إنه لما دخل أبو بكر البيت ، صلى وأثنى عج أهل البيت عجيجاً سمعه أهل المصلى كلما ذكر شيئاً ارداد و فما سكن عجيجهم إلا تسليم رجل على الباب صيت جلد قال السلام عليكم يا أهل البيت كل نفس ذائقة الموت « الآية » إن فى الله خلفاً من كل أحد ودركا لكل رغبة ، ونجاة من كل مخافة ، فالله فارحوا وبه فثقوا فاستمعوا له ، وانكروه ، وقطعوا البكاء ، فلما انقطع البكاء فقد صوته ، فاطلع أحدهم فلم ير أحداً

---

(١) هذا الحديث الطويل كما أورده الغزالى ( من حديث جابر فى معجم الطبرانى الكبير ) حديث طويل فى ورقتين – وهو منكر – وفيه عبد المنعم بن إدريس ، وهما كاذبان متروكا الحديث ، ومن طريق آخر مروى – فى بعض رواته عبد الله بن ميصون القداح ، أنكره البخارى ورواه آخر – يضع الحديث – هو المختار بن نافع .

ثم عادوا فبكوا ، فناداهم مناد آخر لا يعرفون صوته ، يا أهل البيت اذكروا الله واحمدوه على كل حال تكونوا من المخلصين ، إن فى الله عزاء من كل مصيبة ، وعوضاً من كل رغبة فالله فأطيعوا وبأمره فاعملوا فقال أبو بكر هذا الخضر واليسع عليهما السلام حضر النبى صلى الله عليه وسلم

هذا الحديث مذكور فى إحياء علوم الدين ج ٤ ص ٤٠٣ — منكر — أنكرت وجوده كتب الحديث ، رواه فى المستدرك الحاكم ، وكان يروى الأحاديث حيثما اتفق ولم يصححه ، ولم يصح رواته ، ورواه ابن أبى الدنيا فى كتاب العزاء ، ورواه الطبرانى فى الأوسط ، وإسناده ضعيف جدا ، ورواه الشافعى فى الأم وليس فيه ذكر الخضر .

وهذه الأحاديث لم تر فى كتب الصحاح ، وهذا يدل على مخالفتها للنقل ، ومخالفتها للعقل . . والله وتعالى أعلم وأحكم .

**وفاة أبى بكر رضى الله عنه :**

لما احتضر رضوان الله عليه ، أتته عائشة رضى الله عنها وتمثلت بقول الشاعر :

لعمرك ما يغنى الثراء عن الفتى     إذا خرجت يوما وضاق بها الصدر

فكشف عن وجهه وقال كيس كذا ، ولكن قولى . ( وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت عنه تحيد ) . انظروا ثوبى هذين فاغسلوهما وكفنونى فيهما فإن الحى إلى الجديد أحوج من الميت ، وقالت عائشة رضى الله عنها :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه     ربيع اليتامى عصمة للأرامل

فقال أبو بكر ذاك رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قالوا له ، أندعو لك ، قال قد نظر إلى طبيبى ، وقال «إنى فعال لما أريد» ودخل عليه سلمان الفارسى رضى الله عنه يعوده . وقال يا أبا بكر

أوصنا ، فقال إن الله فاتح عليكم الدنيا فلا تأخذن منها إلا بلاغك . واعلم أن من صلى صلاة الصبح فهو فى ذمة الله فلا تحقرن الله فى ذمته فيكبك فى النار على وجهك ، ولما ثقل أبو بكر رضى الله عنه . وأراد الناس منه أن يستخلف فاستخلف عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال الناس ، استخلفت علينا فظا غليظا ، فماذا تقول لربك ، فقال ، أقول استخلفت على خلقك خير خلقك ، ثم أرسل إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فجاء فقال إنى موصيك بوصية . اعلم إن لله حقاً فى النهار لا يقبله فى الليل ، وإن لله حقاً فى الليل لا يقبله بالنهار ، وأنه لا يقبل النافلة حتى تؤدى الفريضة ، وإنما ثقلت موازين من ثقلت موازينهم يوم القيامة باتباعهم الحق فى الدنيا ، وثقله عليهم ، وحق لميزان لا يوضع فيه إلا الحق أن يثقل . وإنما خفت موازين من خفت موازينهم يوم القيامة باتباع الباطل ، وخفته عليهم ، وحق لميزان لا يوضع فيه إلا الباطل أن يخف ، وأن الله ذكر أهل الجنة بأحسن أعمالهم ، وتجاوز عن سيئاتهم ، فيقول القائل أنا دون هؤلاء ، ولا أبلغ مبلغ هؤلاء ، فإن الله ذكر أهل النار بأسوأ أعمالهم ، ورد عليهم صالح الذى عملوا فيه ، فيقول القائل أنا أفضل من هؤلاء ، وأن الله ذكر آية الرحمة وآية العذاب ليكون المؤمن راغبا راهبا ، ولا يلقى بيديه إلى التهلكة ،ولا يتمنى على الله غير الحق فإن وضعت وصيتى بيديه إلى التهلكة ، ولا يتمنى على الله خير الحق فإن حفظت وصيتى فلا يكون غائب أحب إليك من الموت ، ولا بد لك منه ، وإن ضيعت وصيتى فلا يكون غائب أبغض إليك من الموت ، ولا بد لك منه ، ولست بمعجزة .

قال سعيد بن المسيب ، لما احتضر أبو بكر رضى الله عنه أتاه ناس من الصحابة ، فقالوا يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم زودنا فإنا نراك لما بك ، فقال أبو بكر : من قال هؤلاء الكلمات ثم مات جعل الله روحه فى الأفق المبين ، قالوا وما الأفق المبين ، قال قاع بين يدى العرش ،

فيه رياض الله ، وأنهار وأشجار يغشاه كل يوم مائة رحمة ، فمن قال هذا القول جعل الله روحه فى هذا المكان - اللهم أنت ابتدأت الخلق من غير حاجة بك إليهم ، ثم جعلتهم فريقين فريقا للنعيم وفريقا للسعير ، فاجعلني للنعيم ولا تجعلني للسعير اللهم أنك خلقت الخلق فرقا وميزتهم قبل أن تخلقهم فجعلت منهم شقيا وسعيدا ، وغويا ورشيدا ، فلا تشقني بمعاصيك ، اللهم إنك علمت ما تكسب كل نفس قبل أن تخلقها فلا محيص لها مما علمت ، فاجعلني ممن تستعمله بطاعتك ، اللهم إن أحدا لا يشاء حتى تشاء ، فاجعل مشيئتك أن أشاء ما يقربنى إليك ، اللهم إنك قد قررت حركات العباد ، فلا يتحرك شيء إلا بإذنك ، فاجعل حركاتى فى تقواك . . الخ .

**وفاة عمر بن الخطاب رضى الله عنه :**

يروى الغزالى بإسناده ، عن عمرو بن ميمون . قال : كنت قائما غداة أصيب عمر ، ما بيني وبينه إلا عبدالله بن عباس ، وكان إذا مر بين الصفين قام بينهما ، فإذا رأى خللا قال استووا ، حتى إذا لم ير فيهم خللا تقدم فكبر ، قال ، وربما قرأ سورة يوسف أو النحل أو نحو ذلك فى الركعة الأولى حتى يجتمع الناس ، فما هو إلا أن كبر ، فسمعته يقول قتلنى أو أكلنى الكلب حين طعنه أبو لؤلؤة ، وطار العلج بسكين ذات طرفين لا يمر على أحد يمينا أو شمالا إلا طعنه ، حتى طعن ثلاثة عشر رجلا ، فمات منهم تسعة ، وفى رواية سبعة فلما رأى ذلك رجل من المسلمين طرح عليه برنسا ، فلما ظن العلج أنه مأخوذ نحر نفسه . وتناول عمر رضى الله عنه عبد الرحمن بن عوف فقدمه ، وأما نواحى المسجد ما يدرون ما الأمر . غير أنهم فقدوا صوت عمر وهم يقولون سبحان الله سبحان الله ، فصلى بهم عبد الرحمن بن عوف صلاة خفيفة ، فلما انصرفوا قال يا ابن العباس انظر من قتلنى ، قال . فغاب ساعة ، ثم جاء فقال غلام المغيرة بن شعبة

---

(١) أحياء علوم الدين الجزء الرابع ( ٤/٤٠٥ ) .

فقال عمر رضى الله عنه . قاتله الله لقد كنت أمرت به معروفا ، ثم قال : الحمد لله الذى لم يجعل منيتى بيد رجل مسلم ، فقد كنت أنت وأبوك تحبان أن يكثر العلوج بالمدينة ، وكان العباس أكثرهم رقيقا ، فقال ابن عباس إن شئت فعلت أى إن شئت قتلناهم ، قال : بعدما تكلموا بلسانكم ، وصلوا إلى قبلتكم ، وحجوا حجكم فاحتمل إلى بيته ، فانطلقنا معه ، قال : وكأن الناس لم تصبهم مصيبة قبل يومئذ — قال — فقائل قائل أخاف عليه ، وقائل يقول لا بأس ، فأتى بنبيذ ( شراب من التمر — لا يسكر ) فشرب منه فخرج من جوفه ، ثم أتى بلبن فشرب منه فخرج من جوفه ، فعرفوا أنه ميت — قال : فدخلنا عليه وجاء الناس يثنون عليه ، وجاء شاب ، فقال أبشر يا أمير المؤمنين ببشرى من الله عز وجل قد كان لك صحبة من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقدم فى الإسلام ما قد علمت ، ثم وليت فعدلت ثم شهادة فقال : وددت أن ذلك كفافا لا على ولا لى فلما أدبر الشاب إذا إزاه يمس ما على الأرض ، فقال ردوا على الغلام ، فقال يا ابن أخى ارفع ثوبك فإنه أبقى لثوبك واتقى لربك ، ثم قال : يا عبد الله انظر ما على من الدين فحسبوه فوجدوه ستة وثمانين ألفا أو نحوه ، فقال : إن وفى به قال آل عمرو فأدوه من أموالهم ، وإلا فسل فى فى بنى عدى بن كعب ، فإن لم تف أموالهم فسل فى قريش ، ولا تعدهم إلى غيرهم ، وأد عنى هذا المال ، وانطلق إلى أم المؤمنين عائشة فقل لها عمر يقرئك السلام — ولا تقل أمير المؤمنين — فإنى لست اليوم للمؤمنين أميرا ، وقل يستأذن عمر بن الخطاب أن يدفن مع صاحبيه ، فذهب عبد الله فسلم ، واستأذن ثم دخل عليها فوجدها قاعدة تبكى ، فقال يقرأ عليك عمر بن الخطاب السلام ويستأذن أن يدفن مع صاحبيه ، فقالت : كنت أريده لنفسى ، ولأؤثرنه اليوم على نفسى ، فلما أقبل — قيل هذا عبد الله بن عمر قد جاء ، فقال ارفعونى ، فأسنده رجل إليه ، فقال :

---

(١) العشرة المبشرون بالجنة تأليف د. السيد الجميل ، لمزيد من التفاصيل .

ما لديك ، قال الذى تحب يا أمير المؤمنين قد أذنت ، قال الحمد لله ما كان شيء أهم إلى من ذلك ، فإذا أنا قبضت فاحملونى ثم سلم وقل يستأذن عمر ، فإن أذنت لى فادخلونى وإن ردتنى ردونى إلى مقابر المسلمين ، وجاءت أم المؤمنين حافصة رضى الله عنها والنساء يسترنها فلما رأيناها قمنا فولجت عليه فبكت عنده ساعة ، واستأذن الرجال فولجت داخلا فسمعنا بكاءها من داخل الدار ، فقالوا : أوص يا أمير المؤمنين ، واستخلف ، فقال : ما أدرى أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر الذين توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو عنهم راض ، فسمى عليا ، وعثمان ، والزبير ، وطلحة ، وسعد ، وعبد الرحمن ، وقال يشهدكم عبد الله بن عمر ، وليس له من الأمر شيء وقال : أوصى الخليفة من بعدى بالمهاجرين الأولين أن يعرف لهم فضلهم ويحفظ لهم حرمتهم وأوصيه بالأنصار ، الذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم أن يقبل من محسنهم وأن يعفو عن مسيئهم وأوصيه بأهل الأمصار خيرا ، فإنهم ردء الإسلام ، وحياة الأموال ، وغليظ العدو ، وألا يأخذ منهم إلا فضلهم عن رضى منهم ، وأوصيه بالأعراب خيرا ، فإنهم أصل العرب ، ومادة الإسلام وأن يأخذ من حواش أموالهم ، ويرد على فقرائهم ، وأوصيه بذمة الله عز وجل ، وذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يوفى لهم بعهدهم ، وأن يقاتل لهم من وراءهم ولا يكلفهم إلا طاقتهم ، قال : فلما قبض خرجنا به فانطلقنا نمشى فسلم عبد الله ابن عمر ، وقال يستأذن عمر بن الخطاب ، فقالت أدخلوه فأدخلوه فى موضع هنالك مع صاحبيه .

وذكروا حديثا – وهو منكر – قالوا أن جبريل عليه السلام قال للرسول صلى الله عليه وسلم ليبك الإسلام على موت عمر ، ورواية أخرى ، على موت أبى بكر وعمر – ذكره الغزالى فى كتابه إحياء علوم الدين ص ٤٠٦ ، وقال عنه الحافظ العراقى أنه فى كتاب الآجرى ، الشريعة ، حديث أبى بن كعب بسند ضعيف جدا ، وذكره ابن الجوزى فى الموضوعات .

أما الحديث المتفق عليه ، هو ما جاء فى قول ابن عباس رضى الله عنهما ، قال وضع عمر على سريره فتكنفه الناس يدعون ويصلون ، قبل أن يرفع وأنا فيهم ، فلم يرعنى إلا رجل قد أخذ بمنكبي فالتفت فإذا هو على بن أبى طالب رضى الله عنه فترحم على عمر ، وقال ، ما خلفت أحدا أحب إلى أن ألقى الله بمثل عمله منك ، وأيم الله ، إنى كنت لأظن ليجعلنك الله مع صاحبيك وذلك إنى كنت كثيرا أسمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول : ذهبت أنا وأبو بكر وعمر ، وخرجت أنا وأبو بكر وعمر ، ودخلت أنا وأبو بكر وعمر ، فإنى كنت لأرجو ولأظن أن يجعلك الله معهما . .

## موت عثمان رضى الله عنه :

يذكر التاريخ الثورة أتى أحاطت بسيدنا عثمان فى بيته تريد قتله ، فلم علم بمجيئهم أرسل إليهم رجلين ، وأشار عليه بعض المشيرين أن يقتلهم ، فقال عثمان بل نعفو ونقبل ، ونبصرهم بجهدنا ، ولا نحاد أحدا حتى يرتكب حداً ، أو يبدى كفراً قال : إن هؤلاء ذكروا أمورا ، زعموا أنهم يذكرونها ليوجبوها على عند من لا يعلم ، ثم أخذ يدافع عن نفسه أمام هذا الوفد وجماعة من المسلمين ، حتى برأ نفسه من كل تهمة ألصقوها به ، وكان الدفاع كما يأتى :ـ

١ ـ قال عثمان رضى الله عنه ، أتم الصلاة ( فى السفر ) وكانت لاتتم ، ألا وإنى قدمت بلدا يقصد مكة ـ فيه أهلى فأتممت : أو كذلك هو ؟ ! قالوا نعم .

٢ ـ قالوا حميت الحمى ـ يقصدون : أن الناس ظنوا أنه حرم على الناس الرعى ، فى المرعى الذى حماه عمر رضى الله عنه وجعل خاصا لإبل الصدقة ، وأنا عثمان رضى الله عنه لم يحمها لإبل الصدقة فقط بل ولإبله ، وخيله ، وإبل وخيل بنى أمية . .

فماذا كان رده رضى الله عنه لانتفاء هذه التّهمة ؟

والله ما حميت حمى إلا لإبل الصدقة حتى لا يقع بين من يلى أمرها وبين أحد تنازع ، ومالى من ثاغية ولا راغية ( ثغاء الغنم ، ورغاء الإبل ) وإنى قد وليت وأنا أكثر العرب بعيرا وشاء ، فمالى اليوم غير بعيرين ، أو كذلك هو ؟ قالوا : نعم .

(٣) قالوا : كان القرآن كتبا فحرقها إلا واحداً ، ألا وإن القرآن واحد ، جاء من عند رب واحد ، وإنما أنا فى ذلك متبع لا مبتدع ، أكذلك هو ؟ قالوا : نعم .

٤ — قالوا استعملت الأحداث ، ولم أستعمل إلا متحملا مجتمعا مرضيا ، وهؤلاء أهل عملهم فسلوهم عنهم ، وهؤلاء أهل بلدهم ، ولقد ولى من قبل أحدث منهم ، وقيل لرسول الله أشد ما قيل لى فى استعماله أسامة ، أكذلك هو ؟ قالوا نعم .

٥ — قالوا : أنى رددت الحكم بن العاص ، وقد سيره رسول الله ، والحكم مكى ، سيره رسول الله من مكة إلى الطائف ، ثم رده رسول الله فرسول الله سيره ، ورسول الله رده ، أكذلك هو ؟ قالوا : نعم .

٦ — قالوا : أنى أعطيت ابن أبى السراج ما أفاء الله عليه ، وإنى إنما نفلته الخمس من الخمس ، وكان مائة ألف ، وقد نفل مثل ذلك أبو بكر وعمر . فزعم الجند أنهم يكرهون ذلك ، فرددته ، وليس ذلك لهم ، أكذلك هو ؟ قالوا : نعم .

٧ — وقالوا إنى أحب أهل بيتى وأعطيهم ، فأما حبى فإنه لم يمل معهم على جور ، بل أعمل الحقوق عليهم ، وأما إعطاؤهم ، فإنى إنما أعطيهم من مالى ، ولا استحل أموال المسلمين لنفسى ، ولا لأحد من الناس ، ولقد كنت أعطى العطية الكبيرة الرغيبة من صلب مالى أزمان رسول الله

صلى الله عليه وسلم ، وأنا يومئذ حريص شحيح : أفحين أتيت على أسنان أهل بيتى ، وفنى عمرى ، وودعت الذى فى أهلى قال الملحدون ما قالوا وإنى والله ما حملت على مصر من الأمصار فضلا فيجوز ذلك لمن قاله ، ولقد رددته عليهم وما قدم على إلا الأخماس ، ولا يحل لى شىء منها فولى المسلمون وضعها فى أهلها دونى ، ولا تبلغت من مال الله بغلس فما فوقه ، وما أتبلغ منه ، ما آكل إلا من مالى . .

٨ — وقالوا : أعطيت الأرض رجالا ، وإن هذه الأرض شاركهم فيها المهاجرون والأمصار أيام فتحت ، فمن أقام بمكان من هذه الفتوح فهو أسوة أهله ، ومن رجع إلى أهله لم يذهب ذلك ما جرى الله له فنظرت فى الذى يصيبهم مما أفاء الله به عليهم فبعثه لهم بأمرهم من رجال أهل عقار ببلاد العرب ، فنقلت إليهم نصيبهم فهو فى أيديهم دونى (١)

وما كان هذا الدفاع ليؤثر فى نفوس مريضة ، وقلوب أطفئت فيها جذرة الإيمان ، وما كان يجدى(٢)فى هذا الموقف إلا أن يأخذ بنصح المخلفين من الصحابة فيقتلهم ، ويجعلهم عبرة لغيرهم وسلفاً ومثلا للآخرين ، أو يحبسهم فى المدينة تحت وقاية شديدة حتى لا يمكنهم من الرجوع إلى مواطن الفساد للقيام بدعاية سيئة ضد عماله ، ولكنه رق ولان كما هى عادته فرجعوا إلى أمصارهم مطويين على ضغن يأكل أكبادهم ، ويحرق أفئدتهم بالرغم أنهم اقتنعوا بدفاع عثمان رضى الله عنه عن نفسه .

---

(١) ليس من منهج كتابنا التقصى فى البحوث التاريخية ، إنما المراد التكلم عن موت عثمان رضى الله عنه ، ومن أراد التوسع فى الحوادث التاريخية فعليه بالرجوع إلى كتاب الحقبة المثالية فى الإسلام للدكتور شعوط والدكتور زياده ص ٣٦٤ وما بعدها ، والفتنة الكبرى ج ١ ص ١٧٩ والفتح الإسلامى ٣٩١ — ٣٩٤ ، وانصاف عثمان ٥٧ — ٥٩ وابن الأثير ج ٢ ص ٦٩ —٧٤ والعشرة المبشرون بالجنة للسيد الجميلى .

(٢) يجدى : ينفع .

ومن كلماته ، وهو محاصر ، بعد أن عرف ألا فائدة ترجى من هؤلاء القوم ، ناشدهم بقوله هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وليس بها ماء يستعذب غير بئر أروحة فقال من يشترى بئر أروحة بخير له منها فى الجنة ، فاشتريتها من صلب مالى ؟ ! قالوا اللهم نعم ، فقال : أنتم اليوم تمنعونى أن أشرب منها ومن ماء البحر ؟ ! وقال أنشدكم الله والإسلام هل تعلمون أن المسجد قد ضاق بأهله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يشترى بقعة آل فلان فيزيدها فى المسجد بخير منها فى الجنة ، فاشتريتها من صلب مالى فأنتم اليوم تمنعونى أن أصلى فيها ركعتين ، قالوا اللهم نعم ، قال أنشدكم الله والإسلام هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على ثبير ( جبل ) بمكة ومعه أبو بكر وعمر وأنا ، فتحرك الجبل حتى تساقطت حجارته بالحضيض ، قال ، فركضه برجله ، وقال أسكن ثبير فما عليك إلا نبى وصديق وشهيدان ، قالوا اللهم نعم : فقال الله أكبر شهدوا إلى ورب الكعبة .

**ولما حضرت معاوية بن أبى سفيان الوفاة :**

قال أقعدونى فأقعدوه فجعل يسبح الله تعالى ويذكره ثم بكي ، وقال ربك يامعاوية بعد الهرم والانحطام ، ألا كان هذا وغصن الشباب نضر ريان ، وبكى حتى علا يكاؤه وقال : يارب ارحم الشيخ العاصى ، ذا القلب الناسي ، اللهم أقل العثرة ، وأغفر الزلة وعد بحلمك على من لا يرجو غيرك ، ولا يثق بأحد سواك .

وروى عن شيخ من قريش أنه دخل مع جماعة عليه فى مرضه . فرأوا فى جلده غضوناً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ، أما بعد ، فهل الدنيا أجمع إلا ما جربنا ورأينا ، أما والله قد استقبلنا زهرتها ثم بجدتنا ، وباستلذاذنا بعيشنا فما لبثتنا الدنيا أن نقضت ذلك منا حالا بعد حال ، وعروة بعد عروة ، فأصبحت الدنيا وقد وترتنا واخلفتنا واستلأمت إلينا أف للدنيا من دار ، ثم أف لها من دار .

أيها الناس إن من زرع قد استحصد ، وإنى قد وليتكم ولن يليكم أحد من بعدى إلا وهو شر منى ، كما كان من قبلى خيراً منى ، يا يزيد إذا وافى أجلى فول غسلى رجلالبيباً ، فإن اللبيب من الله بمكان ، فلينعم الغاسل وليجهر بالتكبير (١) .

**ولما حضرت عبد الملك بن مروان الوفاة :**

قيل له : كيف تجدك يا أمير المؤمنين ، قال أجدنى كما قال الله تعالى « ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة ، وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم ». ( الآية ) .

**وفى وفاة عمر بن عبد العزيز :**

قالت فاطمة بنت عبد الملك ، امرأته ، كنت أسمع عمر فى مرضه الذى مات فيه يقول اللهم أخف عليهم موتى ولو ساعة من نهار فلما كان اليوم الذى قبض فيه ، خرجت من عنده فجلست فى بيت آخر بينى وبينه باب ، وهو فى قبة له فسمعته يقول : تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً فى الأرض ، ولا فساداً ، والعاقبة للمتقين ، ثم هدأ فجعلت لا أسمع له حركة ولا كلاماً ، فقلت لو صيف له ، انظر أنائم هو ؟ ! فلما دخل صاح ، فوثبت فإذا هو ميت ، ولما ثقل عمر بن عبد العزيز دعى له طبيب فلما نظر إليه قال أرى الرجل قد سقى السم ، ولا آمن عليه الموت ، فرفع عمر بصره ، وقال ، ولا تأمن الموت على من لم يسق السم أيضاً ، . . فلم يلبث إلا أياماً ومات ، وقيل لما حضرته الوفاة بكى ، فقيل له ما يبكيك يا أمير المؤمنين ، أبشر فقد أحيا الله بك سننا ، وأظهر بك عدلا ، فبكى ثم قال : أليس أوقف ؟ فأسأل عن هذا الأمر « أمر الخلق » فوالله لو عدلت فيهم لخفت نفسى ألا تقوم بحجتها بين يدى الله إلى أن يلقنها الله حجتها فكيف بكثير مما ضيعنا ، وفاضت عيناه ، ولم يلبث قليلا حتى مات .

**وفى وفاة هرون الرشيد :**

إنه أنتقى أكفانه عند الموت ، وكان ينظر إليها ، ويقول ما أغنى عنى ماليه هلك عنى سلطانيه **أما المأمون :** فقد فرش رماداً واضطجع عليه وكان يقول يامن لا يزول ملكه ، ارحم من زال ملكه .

**والحجاج:** عند موته قال : اللهم اغفر لى . فإن الناس يقولون أنك لا تغفـــر لى . .

## أقاويل بعض الصالحين

لما حضرت الوفاة ( معاذ بن جبل رضى الله عنه ) قال : اللهم إنى قد كنت أخافك ، وأنا اليوم أرجوك ، اللهم إنك تعلم أننى لم أكن أحب الدنيا — وطول البقاء فيها لجرى الأنهار ولا لفرس الأشجار ، ولكن نطحأ الهواجر . ومكابدة الساعات ، ومزاحمة العلماء بالركب عند حلق الذكر .

ولما حضرت سلمان الفاسى الوفاة ، بكى فقيل له ما يبكيك ، قال : ما أبكى جزعاً على الدنيا ، ولكن عهد إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تكون بلغة أحدنا من الدنيا كزاد الراكب ، فلما مات سلمان نظر فى جميع ما ترك ، فإذا قيمته بضعة عشرة درهما ، ولما حضر بلال رضى الله عنه الوفاة : قالت امرأته ، واحزناه ، قال : بل وطرباه ، غدا نلقى الأحبة ، محمداً وصحبه .

قيل فى وفاة عبد الله بن المبارك ، فتح عينيه عند الوفاة ، وضحك وقال : لمثل هذا فليعمل العاملون ، ولما حضر إبراهيم النخعى الوفاة ، بكى فقيل له ما يبكيك ، قال : انتظر من الله رسولا يبشرنى بالجنة أو النار .

---

(١) إحياء علوم الدين ( ٤/ ٤١٠ )

ولما حضر ابن المنكدر الوفاة بكى ، فقيل له ما يبكيك ، قال : والله ما أبكي لذنب أعلم أنى أتيته ، ولكن أخاف أنى أتيت شيئاً حسبته هيناً وهو عند الله عظيم .

ولما حضرت الوفاة — فضيل بن العياض — غشى عليه ثم فتح عينيه وقال : وابعد سفراه واقلة زاداه . .

وبعد ذلك ، لابد لى أن أعرج ، نحو أقاويل الباطنية عند وفاتهم ، وستتعجب أيها القارئ كما تعجبت أنا ، لأنها تخالف ما عهدناه من قول السلف الصالح ، أو من التابعين ، أقوال غريبة فيها جرءة على الله تعالى ، وفيها لدى النفس « شك » فى إيمان هؤلاء القوم . وليست ألفاظهم ما يمكن تأويله لما فيها من الصراحة الخارجة . من ذلك .

**مصرع الحسين ، سبط الرسول صلى الله عليه وسلم :**

لن نتعرض للناحية التاريخية ، إنما نتعرض لحالته رضى الله عنه عند « الموت » هل هى كانت مثل حالة هؤلاء الباطنية الذين أفسدوا العقيدة الإسلامية قديماً وحديثاً أو حالية كانت كالصحابة الأول ، كأبيه على رضى الله عنه ، وعثمان ابن عفان ، كأمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، هؤلاء الذين نزل فيهم القرآن الكريم مبشرهم بجنات تجرى من تحتها الأنها ، لم تقرأ تواريخهم ، ما نقرأ فى تواريخ هؤلاء الباطنية مع الأسف نغزلوا بألفاظ جنسية دنيئة فى الذات الإلهية مما يجعلنا نخف لنرى ، من هؤلاء القوم ؟ ! هل هم مسلمون حقاً ؟ ! أو يكيدون للإسلام ؟

# حياة الشهداء فى البرزخ

قال تعالى ( ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً ، بل أحياء عند ربهم يرزقون ، فرحين بما أتاهم الله من فضله ، ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، يستبشرون بنعمة من الله وفضل إن الله لا يضيع أجر المؤمنين ) « آل عمران : ١٩٦ : وما بعدها .

* * *

والآية ، وإن كانت نزلت فى شهداء أحد ، أو نزلت فى شهداء بئر معونة ، فهى عامة لجميع الشهداء ، وفى سنن أبى داود بإسناد صحيح عن ابن عباس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم فى جوف طير خضر ترد أنهار الجنة تأكل من ثمارها ، وتأوى إلى قناديل من ذهب معلقة فى ظل العرش ، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا من يبلغ إخواننا عنا أننا أحياء فى الجنة نرزق ، لئلا يزهدوا فى الجهاد ولا يتكلوا عند الحرب » فقال الله سبحانه « أنا أبلغهم عنكم — قال — فأنزل « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً إلى آخر الأيات .

وروى عن جابر رضى الله عنه . قال : لقينى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : « يا جابر مالى أراك منكساً ؟ . قلت يارسول الله استشهد

أبى وترك عيالا وعليه دين ، فقال الرسول : ألا أبشرك بما لقى الله عز وجل باك ، قلت ، بلى ، يارسول الله ، قال : إن الله أحيا أباك وكلمه كفاحاً — مواجهة — وما كلم أحد قط إلا من وراء حجاب ، فقال له ياعبدى تمن على أعطك ، قال : يارب فردنى إلى الدنيا فأقتل فيك ثانية ، فيقال الرب تبارك وتعالى إنه قد سبق منى أنهم — إليها — لا يرجعون ، قال : يارب أبلغ من ورائى . فأنزل الله عز وجل « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله . . . . . الـــخ . .

أخرجه ابن ماجه فى سننه والترمذى فى جامعه ، وقال : هذا حديث حسن غريب .

وروى وكيع عن سعيد بن جبير فى هذه الآية الكريمة وما بعدها قال : لما أصيب حمزة ابن عبد المطلب ، ومصعب بن عمير ، ورأوا ما رزقوا من الخير قالوا — ليت إخواننا يعلمون ما أصابنا من الخير ، كى يزدادوا فى الجهاد رغبة . فقال الله تعالى ، أنا أبلغهم عنكم ، فأنزل الله تعالى « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً . . الآية .

وقال « أبو الضحى » نزلت هذه الآية فى أهل أحد خاصة ، والحديث الأول يقتضى صحة هذا القول ، وقال بعضهم نزلت فى شهداء بدر وكانوا أربعة عشر رجلا ، ثمانية من الأنصار وستة من المهاجرين ، وقيل نزلت فى شهداء بئر معونة . .

وقال آخرون إن أولياء الشهداء كانوا إذا أصابتهم نعمة وسرور تحسروا وقالوا نحن فى النعمة والسرور ، وابناؤنا وأخواننا فى القبور ، فأنزل الله تعالى هذه الآية تنفيساً عنهم وإخباراً عن حال قتلاهم .

وبالجملة وإن كان يحتمل أن يكون النزول بسبب المجموع ، فقد أخبر الله تعالى فيها عن الشهداء ، أنهم أحياء فى الجنة يرزقون ، ولا محالة أنهم

ماتوا وأن أجسادهم بالتراب وأرواحهم حية كأرواح سائر المؤمنين ، وفضلوا الرزق فى الجنة . من وقت القتل حتى كأن حياة الدنيا دائمة لهم . .

**وقد اختلف العلماء فى هذا المعنى :**

والذى عليه جمهور العلماء أن حياة الشهداء محققة ومن العلماء من يقول : ترد إليهم أرواحهم فى قبورهم فينعمون ، كما يحيا الكفار فى قبورهم فيعذبون ، وقال مجاهد ، يرزقون من ثمر الجنة أى يجدون ريحها وليسوا فيها :

وقال قوم إن هذا فى حكم المجاز : والمعنى أنهم فى حكم الله مستحقون للتنعم فى الجنة ، كما يقال ، ما مات فلان ، أى ذكره حى .

وكما جاء فى قول الشاعر :

موت التقى حياة لا فناء لهـــا قد مات قوم وهم فى الناس أحياء

فالمعنى : إنهم يرزقون الثناء الجميل . .

وقال آخرون . . أرواحهم فى أجواف طير خضر ، وأنهم يرزقون فى الجنة . ويأكلون ويتنعمون ، وهذا هو الصحيح من الأقوال . . .

وأما من تأويل فى الشهداء أنهم أحياء ، بمعنى أنهم سيحيون ، فبعيد يرده القرآن الكريم والسنة ، فإن قوله « بل أحياء » دليل على حياتهم ، وأنهم يرزقون ولا يرزق الا حى .

وقيل : إنه يكتب لهم فى كل سنة ثواب غزوة ، ويشركون فى ثواب كل جهاد كان بعدهم إلى يوم القيامة ، لأنهم سنوا أمر الجهاد ، نظير قوله تعالى ( من أجل ذلك كتبنا على بنى إسرائيل من أن قتل بنفساً فقد قتل الناس جميعاً ) .

وقيل إن أرواحهم تركع وتسجد تحت العرش إلى يوم القيامة ، وقيل لأن الشهيد لا يبلى فى القبر ولا تأكله الأرض .

## هل يصلى على الشهيد ؟

إذا كان الشهيد حياً حكماً فلا يصلى عليه كالحى حسا ، وقد اختلف العلماء فى غسل الشهداء والصلاة عليهم ، فذهب مالك والشافعى وأبو حنيفة والثورى إلى غسل جميع الشهداء والصلاة عليهم إلا قتيل المعترك فى قتال العدو خاصة لحديث جابر ، قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم « ادفنوهم بدمائهم » يعنى يوم أحد ولم يغسلهم « رواه البخارى »

وروى أبو داود ، قال : أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتلى أحد أن ينزع عنهم الحديد والجلود وأن يدفنوا بدمائهم وثيابهم . .

وقال سعيد بن المسيب والحسن يغسلون معللين أن شهداء أحد لم يغسلوا لكثرتهم والشغل عن ذلك .

قال أبو عمر ، لم يقل سعيد والحسن هذا أحد من فقهاء الأمصار إلا عبيد الله بن الحسن العنبرى وليس ما ذكروا من الشغل عن غسل شهداء أحد علة ، لأن كل قتيل له ولى يشتغل بأمره . . والله أعلم .

ما جاء فى الحديث من دمائهم : إنها تأتى يوم القيامة كريح المسك ، فإن العلة ليست الشغل كما ادعى بعضهم ، وليس لهذه المسألة مدخل فى القياس والنظر ، إنما مسألة اتباع الأثر الذى نقله الكافة عن قتلى أحد . . إنهم لم يغسلوا . .

وروى أبو داود عن جابر قال : رمى رجل بسهم فى صدره أو فى حلقه فمات فأدرج فى ثيابه كما هو ، ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

### أما الصلاة على الشهيد :

فاختلف العلماء فيها أيضاً . فذهب مالك والليث والشافعى وأحمد ودواد إلى أنه لا يصلى عليهم لحديث جابر قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم

يجمع بين الرجلين فى قتلى أحد ثم يقول : أيهما أكثر أخذاً للقرآن ؟ فإذا أشير إلى أحدهما قدمه فى اللحد ، وقال أنا شهيد على هؤلاء يوم القيامة ، وأمر بدفنهم بدمائهم ولم يغسلوا ولم يصل عليهم . .

وقال فقهاء الكوفة بالصلاة عليهم مستدلين بأن الرسول صلى الله عليه وسلم صلى على حمزة وعلى سائر أحد شهداء، ورووا آثاراً كثيره كلها مراسيل . . .

أجمع العلماء على أن الشهيد إذا حمل حياً ولم يمت فى المعترك وعاش وأكل وشرب فإنه يصلى عليه ، كما قد صنع بعمر بن الخطاب رضى الله عنه

**واختلفوا فيمن قتل مظلوما :**

قال أبو حنيفة والثورى كل من قتل مظلوماً لم يغسل ، ولكن يصلى عليه وعلى كل شهيد ، وهو قول سائر علماء العراق . ورووا من طرق كثيرة صحاح عن زيد بن صوحان وكان قتل يوم الجمل . لاتنزعوا عنى ثوباً ، ولا تغسلوا عنى دماً ، ورووا عن عمار بن ياسر مثل هذا القول .

وقد قتل عمار بن ياسر بصفين ولم يغسله على رضى الله عنهما . . .

وللشافعى رضى الله عنه قولان أحدهما يغسل كجميع الموتى إلا من قتله أهل الحرب وهذا قول مالك ، وقول بن حنبل . والقول الآخر للشافعى لا يغسل قتيل البغاة . .

وقول مالك أصح — ( لا يغسل من قتله الكفار ومات فى المعترك ) .

**والقتل فى سبيل الله تعالى :**

يكفر الذنوب ، كما قال صلى الله عليه وسلم القتل فى سبيل الله يكفر كل شيء إلا الدين — كذلك قال لى جبريل آنفاً (١)

(١) ذكر هذا الحديث القرطبى ص ١٥٢٤ جزء ٤ — طبعة دار الشعب ولم يسنده .

قال العلماء : وذكر الدين تنبيه على ما فى معناه من الحقوق المتعلقة بالذمة كالغصب وأخذ المال بالباطل ، وقتل العمد وجراحة وغير ذلك من التبعات ، فإن كل هذا أولى ألا يغفره الجهاد من الدين فإنه أشد ، والقصاص فى هذا كله بالحسنات والسيئات حسبما وردت به السنةالثابته . .

روى عبد الله بن أنيس : قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « يحشر الله العباد — أو قال الناس — . . . عراة غرلا بهما — قلنا وما معهم ؟ ! قال : ليس معهم شيء ، فيناديهم بصوت يسمعه من قرب ومن بعد ، أنا الملك أنا الديان لا ينبغى لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة وأحد من أهل النار يطلبه بمظلمة ولا ينبغى لأحد من أهل النار أن يدخل النار وأحد من أهل الجنة يطلبه بمظلمة حتى اللطمة . قال : قلنا ، كيف وإنا نأتى الله حفاة غرلا ، قال بالحسنات والسيئات . أخرجه الحارث بن أبى أسامة .

وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أتدرون من المفلس قالوا المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع . فقال : إن المفلس من أمتى من يأتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ، ويأتى وقد شتم هذا ، وقذف هذا ، وأكل مال هذا ، وسفك دم هذا ، وضرب هذا ، فيعطى هذا من حسناته ، وهذا من حسناته ، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح فى النار .

وقال صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده لو أن رجلا قتل فى سبيل الله ثم أحيا ثم قتل ثم أحيا ، ثم قتل وعليه دين ما دخل الجنة حتى يقضى عنه .

وروى أبو هريرة نفس المؤمن معلقة مما كان عليه من دين .

قال أحمد بن زهير ، سئل يحي ابن معين عن هذا الحديث فقال : هو صحيح ، فإن قيل ، فهذا يدل على أن بعض الشهداء لا يدخلون الجنة من حين القتل ولا تكون أرواحهم فى جوف طير كما ذكرتم ، ولا يكونون

فى قبورهم ، فأين يكونون قلنا ، قد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : أرواح الشهداء على نهر بباب الجنة يقال له بارق يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشياً ، فلعلهم هؤلاء والله أعلم .

ولهذا قال بعض الأئمة : هؤلاء طبقات وأحوال مختلفة يجمعها أنهم يرزقون .

وقد أخرج الإمام ابن ماجة القزوينى فى سننه حديث الرسول صلى الله عليه وسلم « شهيد البحر مثل شهيدى البر ، والميت فى البحر كالمتشحط فى دمه فى البر ، وما بين الموجتين تقاطع الدنيا فى طاعة الله ، وإن الله وكل ملك الموت يقبض الأرواح إلا شهيد البحر ، فإنه يتولى قبض أرواحهم ويغفر لشهيد البر الذنوب كلها إلا الدين ، ولشهيد البحر الذنوب والدين .
حديث موضوع (٣٤١٤)

**عند ربهم يرزقون :**

ما المقصود بالعندية : يقول بعض اللغويين ، هنا حذف مضاف تقديره عند كرامة ربهم ، وعند تقتضى القرب غايته ، مثل لدى ، ولا تصغر ويرزقون ، هو الرزق المعروف فى العادات ، ومن قال يرزقون حياة الذكر قال يرثون الثناء الجميل ، والأول الحقيقة . . .

وقد قيل : إن الأرواح تدرك فى تلك الحالة التى يسرحون فيها من روائح الجنة وطيبها ونعيمها وسرورها ما يلعق بالأرواح . . مما ترتزق وتنتعش به ، وأما الذات الجسمية فإذا أعيدت تلك الأرواح إلى أجسادها أستوفت من النعيم جميع ما أعد الله لها . وهذا قول حسن ، وإن كان فيه نوع من المجاز ، فهو الموافق . . « فرحين » نصب على الحال . بمعنى السرور ، ويجوز فى غير القرآن رفعه على النعت .

**ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم :**

لم يلحقوا بهم فى الفضل ، وإن كان لهم فضل ، قال الشعبى ، يؤتى

الشهيد بكتاب فيه ذكر من يقدم عليه من إخوانه فيستبشر ، كما يستبشر أهل الغائب بقدومه فى الدنيا ، وأنهم يقولون . . أخواتنا الذين تركنا خلفنا فى الدنيا يقاتلون فى سبيل الله مع نبيهم فسيستشهدون فينالون من الكرامة ما نحن فيه ، فيسرون ويفرحون بذلك .

وقيل إن الإشارة بالإستبشار للدين لم يلحقوا بهم إلى جميع المؤمنين وإن لم يقتلوا ولكنهم لما عاينوا ثواب الله ، وقع اليقين ، بأن دين الإسلام هو الحق ، الذى يثيب الله عليه ، فهم فرحون لأنفسهم ، بما أتاهم الله من فضله ، مستبشرون للمؤمنين بألا خوف عليهم ولا هم يحزنون .

**يستبشرون بنعمة من الله وفضل :**

أى بالجنة ، وبالمغفرة ، والفضل ، والفضل داخل فى النعمة ، وفيه دليل على اتساعها — وأنها ليست كنعم الدنيا ، وجاء الفضل بعد النعمة على وجه التأكيد .

روى الترمذى عن القدام بن معد يكرب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « للشهيد عند الله ست خصال يغفر له فى أول دفعة ، ويرى مقعده من الجنة ، ويجار من عذاب القبر ، ويأمن من الفزع الأكبر ، ويوضع على رأسه تاج الوقار ، الياقوتة ، منها خير من الدنيا وما فيها ، ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين ، ويشفع فى سبعين من أقاربه ( حديث حسن صحيح غريب — وهذا تفسير السعة والفضل ، والآثار فى هذا المعنى كثيرة ) .

وروى عن مجاهد أنه قال : ( السيوف مفاتيح الجنة ) .

وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : أكرم الله تعالى الشهداء بخمس كرامات لم يكرمه بها أحد من الأنبياء ولا أنا ، أحدها أن جميع الأنبياء قبض أرواحهم ملك الموت وهو الذى سيقبض أرواحهم

بقدرته كيف يشاء ، ولا يسلط على أرواحهم ملك الموت ، والثانى أن جميع الأنبياء قد غسلوا بعد الموت ، وأنا أغسل بعد الموت ، والشهداء لا يغسلون ، ولا حاجة لهم إلى ماء الدنيا ، والثالث أن جميع الأنبياء قد كفنوا ، وأنا أكفن والشهداء لا يكفنون بل يدفنون فى ثيابهم ، والرابع أن الأنبياء لما ماتوا سموا أمواتاً ، وإذا مت يقال مات ، والشهداء لا يسمون موتى والخامس أن الأنبياء ، تعطى لهم الشفاعة يوم القيامة ، وشفاعتى أيضاً يوم القيامة وأما الشهداء فإنهم يشفعون كل يوم فيمن يشفعون (١) .

**الذين استجابوا لله وللرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم :**

فى الصحيحين عن عروة بن الزبير قال : قالت لى عائشة رضى الله عنها ، كان أبواك من الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح ( لفظ مسلم ) .

أشارت عائشة رضى الله عنها إلى ما جرى فى غزوة حمراء الأسد ، على نحو ثمانية أميال من المدينة .

ذلك كان فى يوم الأحد وهو الثانى من موقعة أحد ، نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الناس بإتباع المشركين ، وقال لا يخرج معنا إلا من شهدها بالأمس ، فنهض معه مائتا رجل من المؤمنين ، كان منهم أبو بكر والزبير ، حتى بلغ حمراء الأسد مرهباً للعدو فربما كان منهم المثقل بالجراح ، لا يستطيع المشى ، ولا يجد مركوباً ، فربما يحمل على الأعناق وكل ذلك امتثالا لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ورغبة فى الجهاد ، ذلك لأن أبا

---

(١) ذكر هذا الحديث القرطبى فى تفسيره جـ ٢ ص ١٥١٨ ولم يذكر له أى سند .

سفيان بن حرب . ومن معه من قريش قد جمعوا جموعهم ، وأجمعوا رأيهم على أن يأتوا المدينة ليستأهلوا أهلها . فكان جواب المؤمنين عندما بلغهم هذا الخبر أن قالوا ( حسبنا الله ونعم الوكيل ) ، فبينما قريش قد أجمعت على ذلك ، إذ جاءهم معبد الخزاعى وكان حليفاً للنبي صلى الله عليه وسلم وقومه ، وخوفهم قائلا — لقد تركت محمداً وصحبه بحمراء الأسد فى جيش عظيم ، قد اجتمع له من كان تخلف عنه ، وهم قد تحرقوا عليكم فالنجاء ، النجاء ، فانثنى أبو سفيان ومن معه وقذف الله فى قلوبهم الرعب ، ورجعوا إلى مكة خائفين مسرعين ، ورجع النبي صلى الله عليه وسلم مع أصحابه إلى المدينة منصوراً ، كما قال الله تعالى : ( فانقلبوا بنعمة من الله وفضل ولم يمسسهم سوء ) أى قتال أو رعب ، . ( الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزداهم إيماناً ، وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ) .

## الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا ، وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل

اللفظ هنا عام ، ومعناه خاص ، لقوله ( أم يحسدون الناس ) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم .

والمراد فى الآية « ركب عبد القيس » أرادوا تثبيط جيش المسلمين بفتنة من سفيان .

وقيل بعض المنافقين ، قال السدى : لما تجهز النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه للمسير إلى بدر الصغرى لميعاد أبى سفيان . آتاهم المنافقون ، وقالوا نحن أصحابكم الذين نهيناكم عن الخروج إليهم وعصيتمونا ، وقد قاتلوكم فى دياركم وظفروا فإن أتيتموهم فى ديارهم فلا يرجع منكم أحد ، فقالوا : ( حسبنا الله ونعم الوكيل ) .

وقال بعض المفسرين : دخل ناس من هذيل من أهل تهامة المدينة . . فسألهم أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم عن أبى سفيان وقومه ، فقالوا قد جمعوا لكم جموعاً كثيرة فاخشوهم ، فإنه لا طاقة لكم بهم فقالوا ، حسبنا الله ونعم الوكيل . .

ونظراً لتعدد التفاسير فى سبب نزول هذه الآية ، فن الراجح أن الاستعاذة بالله وقولهم حسبنا الله ونعم الوكيل ، قيلت فى مناسبات كثيرة ، وبذا يمكن الجمع بين الآراء المختلفة .

**فزادهم إيمانا :**

المراد تصديقاً ويقينا فى دينهم ، وإقامة على نصرتهم ، وقوتهم جراءة واستعدادا ، والمراد بالإيمان هنا الأعمال .

**هل الإيمان – التصديق – يزيد وينقص ؟ !**

المعروف إن الإيمان تاج واحد يلبسه الفرد فيصبح مؤمناً ، فهو تصديق بشىء واحد معين فإذا لم يحدث هذا التصديق ، لا ينبغى منه شىء ، فهو معنى « فرد » ولا يدخل معه زيادة إذا حصل ، ولا يبقى معه شىء إذا زال .

من ذلك فإن زيادته ونقصانه فى متعلقاته دون ذاته –

ذهب جمع من العلماء إلى أنه يزيد وينقص من حيث الأعمال الصادرة عنه ، وهنا فإنهم يوقعون اسم الإيمان على الطاعات ، لقوله صلى الله عليه وسلم ( الإيمان بضع وسبعون باباً فأعلاها قول لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ) الترمذى ، وزاد مسلم ، والحياء شعبة من الإيمان .

وفى حديث على رضى الله عنه . ( إن الإيمان ليبدو لمظة بيضاء فى القلب كلما ازداد الإيمان ازدادت اللمظة (١) وفيه حجة على من أنكر أن الإيمان يزيد وينقص ، فإن الإيمان إذا ازداد ازدادت اللمظة حتى يبيض القلب كله ، وكذلك النفاق يبدو لمظة سوداء فى القلب كلما ازداد النفاق اسود القلب حتى يسود القلب كله .

ومن العلماء من قال : إن الإيمان عرض ، وهو لا يثبت زمانين . فهو للنبى صلى الله عليه وسلم وللصلحاء متعاقب ، فيزيد باعتبار توالى أمثاله على قلب المؤمن . وباعتبار دوام حضوره ، وينقص بتوالى الغفلات على

---

(١) اللمظة ، صفحة بيضاء .

قلب المؤمن ، وهذا المعنى موجود فى حديث الشفاعة . حديث أبى سعيد الخدرى ( أخرجه مسلم ) :

وفيه ( فيقول المؤمنون ياربنا إخواننا كانوا يصومون ويصلون ويحجون فيقال لهم أخرجوا من عرفتم فتحرم صورهم على النار فيخرجون منها خلقاً كثيراً ، قد أخذت النار إلى نصف ساقيه ، وإلى ركبتيه ، ثم يقولون ربنا ما بقى فيها أحد ممن أمرتنا به فيقول أرجعوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال دينار من خير فأخرجوه ، فيخرجون خلقاً كثيراً ، ثم يقولون ربنا لم نذر فيها أحداً ممن أمرتنا ، ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال نصف دينار من خير فأخرجوه فيخرجون خلقاً كثيراً ثم يقولون ربنا لم نذر فيها ممن أمرتنا أحدا ثم يقول أرجعوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه... وذكر الحديث .

وقد يقال أن المراد بالإيمان فى هذا الحديث أعمال القلوب كالنية والإخلاص والخوف والنصيحة — وشبه ذلك ، وسماها إيماناً لكونها فى محل الإيمان أو عند الإيمان على عادة العرب فى تسميته الشىء باسم الشىء إذا جاوره ، أو كان منه بسبب ، دليل هذا التأويل قول الشافعين ، بعد إخراج من كان فى قلبه مثقال ذرة من خير لم نذر فيها خيراً مع أنه تعالى يخرج بعد ذلك جموعاً كثيرة ممن يقول : لا إله ألا الله ، وهم مؤمنون قطعاً ، ولو لم يكونوا مؤمنين لما أخرجهم . . .

وذهب قوم من العلماء إلى أن زيادة الإيمان ونقصه إنما هو من طريق الأدلة فتزيد الأدلة عند واحد ، فيقال فى ذلك ، أنها زيادة فى الإيمان . وبهذا المعنى فضل الأنبياء على الخلق ، فإنهم علموه من وجوه كثيرة ، أكثر من الوجوه التى علمه الخلق بها ، وهذا القول خارج عن مقتضى الآية : إذ لا يتصور أن تكون الزيادة فيها من جهة الأدلة .

وذهب قوم إلى أن الزيادة فى الإيمان ، إنما هى بنزول الفرائض والأخبار فى مدة النبي صلى الله عليه وسلم ، وفى المعرفة بها بعد الجهل غابر الدهر . . والله سبحانه وتعالى أعلم .

* * *

**وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل :**

أى كافينا الله ، وحسب مأخوذة من الإحساب وهو الكفاية كما تقول العـــرب .

وحسبك من غنى شبع ورى . . .

روى البخارى عن إبن عباس ، قال فى قوله تعالى ( الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم . . إلى قوله تعالى . . وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ).

قالها الخليل عليه السلام حين ألقى فى النار ، .

وقالها محمد صلى الله عليه وسلم ، حين قال لهم الناس : إن الناس قد جمعوا لكم . . . والله أعلم .

## يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا ؟

قولهم عندما يخرجون من القبور يوم القيامة .

هل هذا ينفى عذاب القبر ؟ !

ماذا يقول المفسرون فى ذلك ) ؟

قال أبو صالح ـ كما جاء فى تفسير القرطبى ص ٥٤٨٥ جـ ١٥

إذا نفخ فى الصور النفخة الأولى رفع العذاب عن أهل القبور ، وهجعوا هجعة إلى النفخة الثانية ، وبينهما أربعون سنة ، فذلك قولهم من بعثنا من مرقدنا . ( قاله ابن عباس وقتادة ـ ولم يذكر لنا مراجع هذا القول . . )

وقال قوم آخرون : عندما يرى الكفار نار جهنم يقولون هذا لما فيها من أنواع التنكيل ما يجعلهم يحسون أنهم كانوا فى قبورهم وهم معذبون أخف من عذاب النار . .

والله تعالى أعلم بمراده ، فالكلام فى هذا من علم الغيب المستور عنا . . ولزيادة إيضاح حياة البرزخ وعذاب الكفار نأتى أيضاً بالآية الكريمة :

« النار يعرضون عليها غدواً وعشياً ، ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب » ( غافر : ٤٥ ) .

إن هذا العرض على النار فى البرزخ كما أثبته جمهور المفسرين ، واضح عند بعض أهل العلم بتثبيت عذاب القبر ، بقوله تعالى : « النار يعرضون عليها غدوا وعشيا . » ما دامت الدنيا .

بذلك قال أئمة التفسير مثل ، مجاهد ، وعكرمة ، ومقاتل ، ومحمد ابن كعب ـ هذه الأية تدل على عذاب القبر فى الدنيا بدليل قوله تعالى بعدها « ويوم تقوم الساعة أدخلوا آ ل فرعون أشد العــذاب » .

وفى الحديث عن ابن مسعود أن أرواح آ ل فرعون ، ومن كان مثلهم من الكفار تعرض على النار فى الغداة والعشى ، فيقال هذه داركم ، .

وعنه أيضاً إن أرواحهم فى أجواف طير سود تغدو على جهنم وتروح كل يوم مرتين فذلك عرضها ، .

وفى حديث صخر بن جويريه عن نافع عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الكافر إذا مات عرض على النار بالغداة والعشى ، ثم تلا قوله تعالى ( النار يعرضون عليها غدوا وعشياً ، وإن المؤمن إذا مات عرض روحه على الجنة بالغداة والعشى ، .

وخرج البخارى ومسلم عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والغشى إن كان من أهل الجنة . فمن أهل الجنة ، وإن كان من أهل النار ، فيقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله إليه يوم القيامة .

والغدو والعشى ، من أيام الدنيا .

والمقصود بآل فرعون هم وغيرهم من هم على شاكلتهم من اتخذ الآلهة من دون الله وترك الدين الحق ، والجبروت فى الأرض .

وروى ابن مسعود عن الرسول صلى الله عليه وسلم « إن العبد يولد مؤمناً ويحيا مؤمناً ويموت مؤمناً ، وإن العبد يولد كافراً ويحيا كافراً ويموت كافراً.

ومن المفسرين – وهو الفراء ، من جعل فى الآية تقديماً وتأخيراً مجازه : ادخلوا آل فرعون أشد العذاب ، النار يعرضون عليها غدواً وعشياً ، أى فى النار ، لا فى أيام الدنيا ، وهو خلاف ما ذهب إليه الجمهور من انتظام الكلام على سياقه حسبما تقدم . . والله أعلم . .

## هل يظهر ملك الموت لبعض الناس؟! (١)

لابد لنا من الدليل اليقيني ، الذى نسلم به أن ملك الموت يظهر ، فى فى صورة إنسان يقبض روح إنسان آخر ، وإلا فلو جعلنا من دعوى أى شخص ملك الموت ، وخنق إنساناً آخر بحجة أنه ملك الموت ، وأن عمره انقضى ، لكان من ذلك فساد فى الأرض ، وحجة واهية . .

والملائكة تظهر فى صور آدمية ، كما روى القرآن الكريم ، يراهم الناس ، كما حدث فى قصة إبراهيم عليه السلام وبشارته بإسحق ، وقصة قوم لوط عليه السلام ، والقصة الأولى والثانية تتلخصا فيما يأتى .

قال الله تعالى فى كتابه العزيز :

« ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا سلاماً ، قال سلام فما لبث أن جاء بعجل حنيذه فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة ، قالوا لا تخف ، إنا أرسلنا إلى قوم لوط ، وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها بإسحق ، ومن وراء اسحق يعقوب » سورة هود : ٦٨ وما بعدها .

كان إبراهيم عليه السلام ببلاد فلسطين ، وكان مضيافا ، فأرسل الله إليه ملائكة فى صور البشر ، فنزلوا عنده ، كانوا غلمانا حسان الوجوه ،

---

(١) أردت أن أغطى هذا السؤال بحثاً ودراسة لكثرة ما ورد إلى من أسئلة عنه إذ مررت عليه مروراً عابراً فى كتابى ( سكرات الموت ) .

ذوو وضاءة وجمال بارع ذهبوا إليه يبشرونه بولده إسحق — وهو لا يعلم حقيقتهم الملائكية ، ضيفهم الخليل إبراهيم عليه السلام ، وأتى بعجل حنيذ ( مشوى ) وهو من أدب الضيف ، فالضيافة من مكارم الأخلاق ، وأن يعجل المضيف القرى ، ولا يتكلف ما يضر به ، والإسلام يدعو إلى مكارم الأخلاق ، ومنها الضيافة ، وفى الحديث الشريف ، من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ، قيل على الندب ، وقيل على الوجوب ، والله أعلم .

**فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم** : أى أنكرهم ، يقال لما تراه بعينك ، وأنكرت لما تراه بقلبك(١) .

والخليل إبراهيم صلى الله عليه وسلم لم يدرك حقيقتهم إلا بعد أن قالوا له ( لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط ) فقد غلبه الخوف منهم عندما قدم لهم الطعام فلم يمدوا أيديهم إليه ، فظن أنهم يريدون به شرا ، فأعلنوا حقيقتهم ، بأنهم أتوا إليه فى طريقهم إلى قوم لوط ، نزلوا من السماء لعذاب هؤلاء القوم .

**وامرأته قائمة فضحكت** : حاضت من شدة خوفها على لوط وأولاده ، وكانت عقيما أيئست من الحيض والحمل ، فى آية أخرى ، فصكت وجهها وقالت : عجوز عقيم .

ولفظة ضحكت ، بمعنى حاضت ، والضحك عند بعض القبائل العربية بمعنى الحيض ، كما قال بعض اللغويين .

---

(١) وأوجس منهم خيفة لأن الطبع الغالب فى بلاد العرب أن الذى يأكل عيشك يحفظ عهدك ، فمن ثم أوجس خيفة لأنهم لم يأكلوا ، والحقيقة أن الملائكة لا تأكل أكل البشر .

وإنى لآتى العرس عند طهورها وأهجرها يوما إذا تك ضاحكا

والعرب تقول ضحكت الأرنب : إذا حاضت .

وقال جمهور اللغويين : إن الضحك هنا بمعنى الضحك المعروف عادة ، وأنكروا أن يكون فى لغة العرب ، الضحك بمعنى الحيض ، وليس الضحك فى اللغة بمستقيم ، وأنكر أبو عبيدة والفراء ذلك .

والذى يمكننا أن نقتنع به ، أنها صكت وجهها متعجبة منه أنها ستلد ، فلما تأكد لديها من قول الملائكة ( قالوا كذلك قال ربك إنه هو الحكيم العليم ) ضحكت مستبشرة فرحة بالإنجاب .

والضحك المعروف عندنا ، هو انكشاف الإسنان مع قهقهة ، ويجوز أن يكون بمعنى الإشراق — إشراق الوجه — فى الحديث الشريف أن الله سبحانه وتعالى يبعث السحاب فيضحك أحسن الضحك ، فجعل انجلاء البرق ضحكا . . وهذا محمول على المجاز .

وكانت سارة رضى الله عنها ، قائمة فى خدمة الأضياف ، كقوله تعالى ( وامرأته قائمة أى فى خدمتهم ) . .

« فبشرناها بإسحق » لما ولد لإبراهيم عليه السلام اسماعيل من هاجر عليها السلام ، تمنت سارة أن يكون لها ابن ، وأيست لكبر سنها ، فبشرت بولد يكون نبيا ، من ذريته أنبياء .

**يا ويلتى أألد وأنا عجوز وهذا بعلى شيخا :**

فقد جرت العادة ألا يلد الكبار فى السن ، ولا العجائز ، وما خرج عن العادة يكون مستغربا قيل فى التفاسير ، أنها سنة كانت فى التاسعة

والتسعين ، وكان إبراهيم عليه السلام فى المائة والعشرين ، وسارة رضى الله عنها كانت ابنة عم إبراهيم ، بنت هاران بن ناحور ، بن شاروع ، ابن أرغو ، بن فالغ(١) .

**قالوا أتعجبين من أمر الله :**

أنكرت الملائكة عليها تعجبها من أمر الله ، أى من قضائه وقدره ، أى لا عجب من أن يرزقك الله الولد ، وهو إسحاق عليه السلام .

**رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد :**

دعوا لهما بالبركة — النمو والزيادة — ومن تلك البركة أن جميع الأنبياء تقريبا كانوا فى ولد سارة من إبرهيم عليهما السلام ، فله سبحانه وتعالى الحمد والمجد .

**فلما ذهب عن إبرهيم الروع ، وجاءته البشرى يجادلنا فى قوم لوط ..**

لما بشر إبرهيم بالولد ، ارتاع للعذاب الذى سينزل على قرى قوم لوط » لأن هناك النبى لوط عليه السلام وذريته والعذاب إذا نزل يعم ، فاستعمل صلوات الله وسلامه عليه طريقة الجدل مع الملائكة ، فنزل الله سبحانه وتعالى جدل إبرهيم إليه ( يجادلنا ) أى يجادل رسلنا ، أضافه سبحانه وتعالى إلى نفسه ، لأنهم نزلوا بأمره ، وكانت هذه المجادلة كما أتت فى تفسير القرطبى الجزء التاسع ص ٧٢ .

---

(١) وقيل إن سارة كانت أخته لأبيه وكان للتزويج بين الأخ والأخت فى ذلك الوقت جائزا . راجع الفلسفة القرآنية لعباس العقاد ص

**عندما قالوا : إنا مهلكون أهل هذه القرية :**

قال لهم أرأيتم إن كان فيها خمسون من المسلمين أتهلكونهم ؟ قالوا : لا ، قال : فأربعون ، قالوا : لا ، قال فثلاثون ، قالوا : لا ، قال فعشرون قالوا : لا ، قال فإن كان فيها عشرة أو خمسة ، قالوا : لا ، فقال إبرهيم عليه السلام « إن فيها لوطا » ، قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين :

وقد نسب القرطبي هذه المجادلة إلى حميد بن هلال ، عن حذيفة ، ولعل الجدال كان لأجل قوم لوط أنفسهم ، لقوله تعالى ( إن إبرهيم لحليم أواه منيب ) والأواه المتأوه ، أسفا على ما فات قوم لوط من الإيمان ، وقوله تعالى :

**يا إبراهيم أعرض عن هذا :** أى دع عنك الجدل فى قوم لوط ، إنه قد جاء أمر ربك ( وأنهم أتيهم ) نازل بهم ( عذاب غير مردود ) أى غير مصروف عنهم ولا مدفوع ..

وفى آية أخرى يقول إبرهيم عليه السلام كما جاء فى القرآن الكريم ( إن فيها لوطا ) فهو يهتم بنبى الله لوط « ويروع أن تعذب القرية بمن فيها ، فكان رد الملائكة الكرام ( نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين ) العنكبوت آية ٣٠ ، وما بعدها .

فهو صلى الله عليه وسلم بما وصفه الله من شدة الحلم والتأثر والإنابة ، شديد الخوف ، على قوم لوط يريد إيمانهم ، وشديد الخوف أيضا على لوط وذريته خوفا من أن ينالهم ما ينال القوم من العذاب . .

هذه قصة الملائكة فى صور الآدميين ، مع إبرهيم عليه السلام

أما قصتهم مع لوط عليه السلام ، كما جاء بقوله تعالى :

ولما جاءت رسلنا لوطا سىء بهم وضاق بهم ذرعا ، وقال هذا يوم عصيب وجاءه قومه يهرعون إليه ، ومن قبل كانوا يعملون السيئات ، قال يا قوم هؤلاء بناتى هن أطهر لكم فاتقوا الله ولا تخزون فى ضيفى ، أليس فيكم رجل رشيد قالوا لقد علمت ما لنا فى بناتك من حق ، وإنك لتعلم ما نريد ، قال لو أن لى بكم قوة أو آوى إلى ركن شديد ، قالوا يا لوط إنا رسل ربك لن يصلوا إليك فأسر بأهلك بقطع من الليل ، ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك إنها مصيبها ما أصابهم إن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب . . . الخ . هود ٧٦ وما بعدها .

لما خرجت الملائكة من عند إبرهيم عليه السلام ، فى صورة الآدميين ، ومشوا إلى القرية التى فيها لوط ، وكانت بينها وبين فلسطين أربع فراسخ . .

يقول القرطبي — رأت بنتا لوط عليه السلام ، وكانتا تستقيان الملائكة فى صورة رجال ، فى صورة حسنة مغرية ، فقالتا ، ما شأنكم ؟ ومن أين أقبلتم ؟ . قالوا من موضع كذا نريد هذه القرية ، قالتا ، أن أصحابها فواحش . فقالوا أبها من يصدقنا ؟ قالتا ، نعم ، هذا الشيخ ، وأشارتا إلى لوط . فلما رأى لوط هيئتهم خاف قومه عليهم ( سىء بهم ) أى ساءه مجيئهم ( وضاق بهم ذرعا ) أى ضاق صدره بمجيئهم وكرهه لما رأى بهم من جمال ، ولما يعرفه من قومه ، وفسقهم بالمردان — قال هذا يوم عصيب ، أى شديد شره ، ( وجاءه قومه يهرعون إليه ) يسرعون ، والإهراع هو

الإسراع مع الرعدة ، أى هم مولعون ، لا يتمالكون أعصابهم مسرعون ، وكان سبب إسراعهم ما روى أن امرأة لوط الكافرة ، لما رأت الأضياف وجمالهم وهيئتهم خرجت حتى أتت قومها مسرعة فى مجالسهم وقالت لهم : إن لوطا قد أضاف الليلة فتية ما رؤى مثلهم قط جمالا وهيئة ، فاستخفتهم بذلك على الإسراع

وبعض المفسرين ، يذهب مذهبا آخر ، ويقول : إن الرسل لما وصلوا إلى بلدة لوط ، وجدوا لوطا فى حرث له ، ووجدوا ابنته تستقى ماء من نهر سدوم ، فسألوها الدلالة على من يضيفهم ، ورأت هيئتهم فخافت عليهم من قوم لوط وقالت لهم مكانكم . وذهبت إلى أبيها تخبره ، فخرج إليهم ، فقالوا نريد أن تضيفنا الليلة ، فقال لهم أو ما سمعتم بعمل هؤلاء القوم ؟ فقالوا وما عملهم ؟ فقال أشهد الله أنهم لشر قوم فى الأرض . وقد كان الله عز وجل قال لملائكته لا تعذبهم حتى يشهد لوط عليهم أربع شهادات — فلما قال لوط هذه المقالة ، قال جبريل لأصحابه ، هذه واحدة ، وتكرر القول بينهم حتى كرر لوط الشهادة أربع مرات ، ثم دخل بهم المدينة . .

**ومن قبل كانوا يعملون السيئات :**

عادتهم الدنيئة فى إتيانهم الرجال ، فلما هجم القوم عليهم فى بيت لوط يريدون السوء بهم ، قال لهم لوط اتقوا الله ولا تخزونى فى ضيفى أليس منكم رجل رشيد . . وأشار إلى بناته ، « هؤلاء بناتى » يريد تزويجهم من بناته بدلا من هذه الفعلة الشنيعة ، وقال بعض المفسرين أنها قصد ببناته نساءهم أجمعين ، إذ نبى القوم أب لهم ويقوى هذا الرأى قول الله تعالى فى سورة الأحزاب ( النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم ) وقال قوم أخر : إنما كان الكلام للمدافعة ولم يرد إمضاءه ، وقال هذا القول — وهو يعرف أنهم لا يسمعون كلامه .

هن أطهر لكم « بالزواج » وفى قول لابن عباس ، كان رؤساؤهم قد خطبوا بناته فلم يجبهم ، وأراد ذلك اليوم أن يفدى أضيافه ببناته .

**فاتقوا الله ولا تخزونى فى ضيفى :**

أى لا تهينونى أمام أضيافى ، ولا تذلونى فيهم ... فكان ردهم ، ليس قصدنا الزواج من بناتك ، وإنك لتعلم ما نريد ، قال :

( لو أن لى بكم قوة ) لما رأى استمرارهم فى غيهم ، وضعف عنهم ، ولم يقدر على دفعهم ، تمنى لو وجد عونا على ردهم ، فقال على سبيل التوجع لو أن لى بكم قوة ، أى أنصارا وأعوانا ، أو آوى إلى ركن سديد ، ألجأ وأنضوى ومراد لوط عليه السلام بالركن الشديد العشيرة ، والمنعة والمنعة الكثيرة ذلك من قبح فعلهم وبشاعته .

ويروى أن الملائكة وجدت عليه حين قال هذه الكلمات ، وقالوا : إن ركنك لشديد ، وفى البخارى عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يرحم الله لوطا لقد كان يأوى إلى ركن شديد وزاد — ما بعث الله بعده نبيا إلا فى ثروة من قومه ، ويروى ، أن لوطا عليه عليه السلام لما غلبه قومه ، وهموا بكسر الباب ، وهو يمسكه ، قالت له الرسل ، تنح عن الباب ، فتنحى وانفتح الباب ، فضربهم جبريل بجناحه فطمس أعينهم ، وعموا ، وانصرفوا على أعقابهم ، يقولون النجاء ، النجاء ، قال الله تعالى ( ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا أعينهم ( لقد جاءهم لوط حتى كرب ونصب ، فأرادوا تسور الجدار ، فلما رأت الملائكة ما فيه من كرب وغم ، قالوا يا لوط ، إن ركنك لشديد ، آتيهم عذاب غير مردود ، وإنا رسل ربك ، فافتح الباب ، ودعنا وإياهم ، ففتح الباب فضربهم جبريل بجناحه .

قالوا ( يا لوط إنا رسل ربك ) اطمأن لوط عليه السلام ، وترك قومه يدخلون عليهم ، ونفضهم جبريل عليه السلام بجناحه فأعماهم ( لن

يصلوا إليك فأسر بأهلك بقطع من الليل بعد مضى صدر من الليل ، أو نصف الليل ، ( ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك إنه مصيبها ما أصابهم إن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب ) .

قال تعالى ( فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل ) وهذا دليل على أن من فعل فعل قوم لوط جزاؤه الرجم ، والسجيل ، حجارة من طين فشددت ، فكانت صلبة ، وحرقت حتى صعب طينها ، ويعرفها بعض العوام « بالخرنفش » والله أعلم ، منضود ، متتابع ، مسومة ، معلمة ؛

وما هى من الظالمين ببعيد ، وفى الحديث الشريف : سيكون فى آخر أمتى قوم يكتفى رجالهم بالرجال ، ونساؤهم بالنساء ، فإذا كان ذلك ، فارتقبوا عذاب قوم لوط أن يرسل الله عليهم حجارة من سجيل (١) قوله تعالى — وما هى من الظالمين ببعيد ، فبشر الخنافس بهذا العذاب الشديد ، ومن يشجعهم على هذه الخنفسة باسم الموضة والحرية والوجودية ..

نخلص من قصة إبرهيم عليه السلام ولوط عليه السلام إلى أن الملائكة تتشكل فى أشكال آدمية يراها الناس ، ويخاطبونهم ، .. ولا نكران لذلك .

فلدينا حديث الأعمى والأبرص . حيث تشكل لهما ملكان فى صورة رجلين ، وخاطباهما ، والحديث الذى نورده الآن ، وكان محل عجب وشك من كثير . وهو :

---

(١) لقد رأينا ذلك ، تلك القنابل التى ترسلها الطيارات فى الحروب المختلفة التى تدك الأرض دكاً وتهزها هزاً ، وتتركها يباباً خراباً ، من لدن أقوام — لم تترك شيئاً من الفواحش إلا عملتها ، واشاعتها ، وشرعتها ذلك فى الحروب العديدة الحديثة من وقت الحرب الكبرى إلى الآن .

أخرج البخارى ومسلم عن أبى هريرة : قال عن النبى صلى الله عليه وسلم ( أرسل ملك الموت ، إلى موسى عليهما السلام ، فلما جاءه صكه ، فرجع إلى ربه فقال : أرسلتنى إلى عبد ، لا يريد الموت ، فرد الله عليه عينيه ، وقال : ارجع فقل له : يضع يده على متن ثور ، فله بكل ما غطت يده بكل شعرة سنة ، قال : أى رب ، ثم ماذا ؟ قال ثم الموت ، فالآن ، فسأل الله أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية حجر ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلو كنت ثم لأريتكم قبره إلى جانب الطريق عند الكثيب الأحمر(١) .

وفى تاريخ الطبرى : عن أبى هريرة أن ملك الموت كان يأتى الناس أحيانا حتى أتى موسى فلطمه ففقأ عينه . . .

يقول بعض الجهال فى علم الحديث ، إن روح الإسرائيليات تفوح من هذا الحديث . ويدافع علماء الحديث ، بأن هذا ممكن جوازا ، وأن رواة الحديث استخلصوه متنا وسندا ، وأجابوا على ذلك بقولهم : إن هذا الحديث رواه الإمامان الجليلان البخارى ومسلم : موقوفا على أبى هريرة رضى الله عنه من طريق طاووس، ومرفوعا إلى النبى صلى الله عليه وسلم من طريق همام بن منبه، وقال الحافظ ابن حجر، هو مشهور عن عبدالرازق . الخ .

وقد رواه الإمام أحمد فى مسنده ، وليس فى الحديث ما يستشكل ، وإنما أن يكون المشكل ، أن لا يعلم موسى أنه ملك الموت ، فهو لم يعرف أنه ملك الموت ، رأى رجلا يريد أن ينزع منه روحه ، ظنه عاديا يعتدى عليه ، فدافع عن نفسه .

وليس فى الرواية ما يدل على أنه كان يعرف أنه ملك الموت ، وتشكل الملائكة فى الصور الإنسانية معروف ، ويعطى لها حكم الإنسان ، من الألم

(١) وفى رواية لمسلم قال : فلطم موسى عين الملك ففقأها .

إذا آلمها شخص ما ، لقد دافع عن نفسه موسى عليه السلام ، والدفاع عن النفس أمر مشروع فى جميع الشرائع السماوية وليس من اللازم أن يعرف النبي أن المتشكل بالشكل الآدمى ملك ، ولقد استشكلت الملائكة إلى إبراهيم ولوط عليهما السلام ، كما نص القرآن قصتهما ، وجاءوا إلى داود فى صورة رعاة تسوروا المحراب ، كما جاء فى قوله تعالى : ( وهل أتاك نبؤ الخصم إذ تسوروا المحراب فدخلوا على داود ففزع منهم قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط ، واهدنا سواء الصراط ، إن هذا أخى له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة ، قال اكفلنيها وعزنى فى الخطاب ) . الخ سورة ص .

ففى بعض أقوال المفسرين ، إنهما ملكان أتيا داود عليه السلام ، فى صورة رعاة ، فحكم لأحدهما عندما وضحت حجته بدون أن يسمع حجة الآخر ، لعلها أوضح — قال تعالى ( فظن داود — أى تأكد — أننا فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا فأناب ، فغفرنا له ذلك ، وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب ، يا داود إنا جعلناك خليفة فى الأرض فاحكم بين الناس بالحق ، ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ) .

وفى قوله تعالى — لا تتبع الهوى . فى الحكم ، فالإسراع فى الحكم هوى ، فلا بد من التريث ، وسماع حجة الخصم ، هذا ما يجعلنا نقول ، بأن هذه الفتنة كانت بسبب إسراعه فى إصدار الحكم ، لا كما يقول علماء التوراة إنه افتتن بحب زوجة أحد قواده ، فأرسله فى حرب مهلكه ليقتل فيها ، ويصفو له الجو للزواج منها .. حاشا لله .

والدليل على أن موسى لم يعرف أنه ملك الموت ، لما جاءه المرة الثانية وعرف أنه ملك الموت ، وأن الله خيره بين طول الحياة أو قبض الروح الآن ، اختار قبض الروح ، والحديث صريح فى كل هذه الصراحة .

وقد سبق إلى هذا القول ، كثير من أئمة الحديث منهم أبو بكر ابن خزيمة ، والمازرى والقاضى عياض وغيرهم ، من علماء الأمة الذين جمعوا بين المعقول والمنقول .

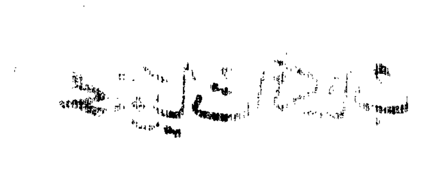
فالملائكة تتشكل ، وصورة الشكل ، لاتدل على هيئته الحقيقية ، ففقء موسى عين الملك ، لا يعود عليه بنقص فى خلقته ، ولا فى هيئته ، فهيئته ليست مادية مثلنا ، إنما له طاقة خلقها الله فيه يمكن بها أن يتشكل كيف شاء ، على أن تبقى مادته الحقيقية قائمة بذاتها .

* * *

والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات .

# محتويات الكتاب

| الموضوع | الصفحة |
| --- | --- |



رقم الايداع بدار الكتب ١٩٨٤/٧٠٤٦

مطابع سجل العرب